لماذا التوحيد

للأستاذ الشيخ محمد عبد المجيد الشافعي

المرئيس العام للجماعة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين

وتوحيد الأسماء والصفات يحفزنا إلى إمعان النظر فيها للتعرف على الاسم العلم على الذات ، ثم التعرف أيضاً على أسمائه سبحانه وصفاته ، للوقوف قدر الإمكان على مدلولاتها والآثار المترتبة عليها ، حتى نعرف الإله الذى نعبد . فيزداد إيماننا به وخشوعنا له ونسارع إلى التضحية فى سبيله ونقدم الأرواح رخيصة لنصرة دينه ، ونبذل المال بسخاء ابتغاء مرضاته ؛ لأن معرفة الله هى أسمى المعارف وأعظمها ؛ وهى قطب الرحى الذى تقوم عليه حياة الروح والقلب ، فإذا استقامت هذه الحياة حياة الروح والقلب استقام كل شىء فى الإنسان من أفعاله وأقواله وكافة تصرفاته ؛ إذ تخلق منهما ضميراً يقظاً ، وتجعل من الضمير حارساً على النفس كلما شطت صدها ، وكلما جمحت مع الهوى ردها ، وكبح جماحها وتحط بالنفس أبراج من المراقبة كل واحدة على صلة مباشرة بالأخرى فلا تكاد تحس العدو من شيطان أو إغواء أو إغراء أو استهواء يريد أن يقتحم النفس حتى تهب جميعاً لحمايتها من الأعداء وتحذرها من النتائج السيئة والآثار الخطيرة التى تنتظرها .

ولهذا كان الإيمان بالله من طريقين :

١ — التعرف على أسماء الله وصفاته .

٢ — إعمال العقل والفكر والنظر فيما خلق الله من أشياء . ولهذا تكثر الآيات التى تدعو إلى التفكر وإلى النظر والتعقل فى آيات الله الكونية وما خلق من

سموات وأرض ونبات وشمس وقمر وليل ونهار فيقول ربنا سبحانه : (قل انظروا ماذا فى السموات والأرض)(١) .

ويقول سبحانه (إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون)(٢) .

ويقول تعالى (قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة)(٣) كل ذلك ليهدى الإنسان عن طريق العقل والحس والفكر والنظر إلى سنن الحياة وعلة الوجود وحقائق الأشياء وبدائع المخلوقات فيفتح له بذلك نوافذ يبصر منها عظمة الخالق وقدرته ووحدانيته وأنه على كل شىء قدير ، كما يدفعه بذلك إلى استقراء كتاب الطبيعة وصفحة الكون فتتجلى له صفات كمال الله وأدلة وحدانيته ومظاهر ربوبيته وشمول علمه وتفرده بالخلق والابداع .

وإليك صورة من الحوار الذى دار بين سقراط وأرسطو وأكد فيه سقراط الإيمان بالله عن طريق العقل .

سقراط ـ أيوجد رجال تعجب بمهارتهم وجمال صنائعهم .

ارسطو ـ نعم أعجب فى الشعر القصصى بهومير . وفى التصوير بزوكيس وفى صناعة التماثيل بـ ...

سقراط ـ أى الصناع أولى بالإعجاب : الذى يخلق صوراً بلا عقل ولا حراك أم الذى يبدع كائنات ذات عقل وحياة ؟ .

أرسطو ـ طبعا الذى يبدع الكائنات بالعقل والحياة إذا لم يكن من نتائج الاتفاق .

سقراط ـ وهل يمكن أن تغفى الأعضاء لمقاصد وغايات خاصة ـ عين ترى

---

(١) يونس من الآية ١٠١ (٢) البقرة الآية ١٦٤ (٣) صبأ من الآية ٤٦

وأذن تسمع وأنف يشم ولسان يتذوق ـ والعين تحاط بحراسة لحساسيتها فتقفل عند النوم أو عند الحاجة وتحرس بالرموش والحواجب ويجعل للأذن جهاز خارجي يجمع لها الصوت ـ فهل يمكن أن يكون كل ذلك وغيره كثير من نتائج الاتفاق ؟

والميل المودع فى النفوس للتناسل، والحنان المخلوق فى قلوب الأمهات لأولادهن مع ندرة أن ينفع الولد أباه أو أمه ، والطفل الذى يلهم الرضاعة بمجرد ولادته هل كل ذلك من نتائج الاتفاق ؟

أرسطو ـ لا بل إن ذلك يدل على الإبداع وعلى أن الخالق عظيم يحب الكائن الحى ولكن لماذا لا نرى الخالق ؟

سقراط ـ وأنت أيضاً لا ترى روحك التى تتسلط على أعضائك، فهل معنى هذا أن نقول إن أفعالك صادرة عن اتفاق وبدون إدراك[1].

والطريق الأتم هو استعراض أسماء الله الحسنى وصفاته المثلى التى لا مثيل لها والتى تشيع فى النفس ضياء وتملأ القلب نورا فيتحرك الوجدان وتسمو الروح . وتطل من سموها على آفاق فسيحة تشاهد فيها أنوار الله وجلاله .

واسم العلم على الذات الإلهية هو لفظ الجلالة = الله = وقد تكرر هذا الاسم الكريم ٢٦٩٧ مرة فى القرآن وقد اختلف العلماء فى اشتقاقه على عشرين قولا كما قال الفيروز ابادى ثم انتهى إلى أنه علم غير مشتق ـ وهو يوصف بغيره من الأسماء والصفات، ولا يوصف به، ولا يطلق على أحد غير الله، فى حين أن بعض أسماء الله قد تطلق على غيره من بنى البشر فيقال رأيت الرجل الكريم ، ويصف الله نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله (. . عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم) . .

ولعل الاسم الوحيد الذى لا يطلق على أحد سوى الله غير لفظ الجلالة هو الرحمن ولذلك يقول الله تعالى (قل ادعوا الله أو ادعو الرحمن أيّاما تدعوا فله الأسماء الحسنى) .

---

(١) كتاب العقائد الإسلامية لفضيلة الشيخ سيد سابق .

ولذلك لما اجترأ مسيلمة الكذاب لعنه الله وسمى نفسه رحمن اليمامة ألبسه الله ثوب الذل والمهانة ،وانتهى أمره إلى سواء الجحيم ، وكأنها بذلك على قسمين : قسم لا يجوز إطلاقه على غير الله وقسم ،يجوز إطلاقه على غير الله ، وهذا الأخير إذا قيد بقيود مخصوصة لا يجوز إطلاقها على أحد إلا الله كقولك : يا أرحم الراحمين ويا أكرم الأكرمين .

ونعود فنكرر القول بأن لفظ الجلاله والاسم العلم على الذات هو الله ، ولذلك تجد الأسماء والصفات الأخرى لا ترد في القرآن الكريم إلا بحسب مناسبتها ، فالرحمن يذكر في مناسبة الرحمة والحكيم يذكر في مناسبة الحكمة ، والواحد الأحد الفرد الصمد تذكر في مناسبة التوحيد أما لفظ الجلالة فإنك لا تكاد تقرأ بعض الآيات حتى تجد الاسم الكريم الله أمامك في كل المناسبات، كما يقول سبحانه في سورة الزمر: (أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه ومن يضلل الله فماله من هاد) (الله يتوفى الأنفس حين موتها . . .) (أو لم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر . . .) (قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون) (بل الله فاعبد وكن من من الشاكرين) (وماقدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون).

(يتبع)

— حكمة العدد —

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إن هذا القرآن صعب مستصعب عسير على من تركه ، يسير على من اتبعه وطلبه ، وحديثي صعب مستصعب ، وهو الحكم ، فمن استمسك بحديثي وحفظه نجا مع القرآن ، ومن تهاون بالقرآن وحديثي خسر الدنيا والآخرة .

وأمرتم أن تأخذوا بقولي ، وتكتنفوا أمري ، وتتبعوا سنتي ، فمن رضي بقولي فقد رضي بالقرآن ، ومن استهزأ بقولي فقد استهزأ بالقرآن ـ قال تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) » .

الإسلام شرف فى الوسيلة والهدف !!

لحضرة صاحب الفضيلة
الشيخ محمد الغزالى
المستشار بوزارة الأوقاف

يروى المؤرخون أن عبدالله بن أبى السرح ارتد بعد إيمان، والتحق بمشركى مكة يزعم لهم أنه كان يفتعل الوحى مع محمد ، وأن القرآن كتاب من عند الناس لا من عند الله !!

وظاهر أن الرجل بهذه الفرية المهينة يسىء إلى الإسلام وأهله، ويشن على الله ورسوله حرباً آثمة ، فلا جرم أن يحكم النبى عليه بالموت ، وأن يهدر دمه عام الفتح مع أمثاله من المجرمين الذين لا يستحقون شرف الحياة فى مجتمع نقى، وشاع نبأ هذا الحكم الواجب النفاذ، والذى لا يجوز أن يتراجع أمامه أحد .

إلا أن عثمان بن عفان - وكان أخاً لعبد الله من الرضاع - طمع فى استصدار عفو من رسول الله عن قريبه المخطىء ، فاقتاده إلى مجلس النبى يعتذر ويستأمن .

وسكت الرسول وهو يتذكر عظم ما اقترف هذا الكذوب فى جنب الله « ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا » ؟ ولم يجب عثمان إلى ماطلب من عفو عنه .

بيد أن عثمان عاود الرجاء حتى استحيا الرسول من رده خائباً فعفا عن عبدالله وآمنه !!

وبدا من حاله ومقاله - صلى الله عليه وسلم - أن الرجل كان أهلا للعقوبة جديراً بالقتل فقال له بعض أصحابه : هلا أومأت إلينا بعينك فعاجلناه بالقصاص ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم هذه الكلمة النبيلة : « ما كان لنبى أن تكون له خائنة الأعين » !

إن أصحاب النفوس الشريفة لا يحسنون أعمال الظلام ولا تتفاوت مسالكهم الخفية والجلية ، ولا يلجأون إلى الغمز بالعين تستر أعلى نية يخشون انكشافها، أو يؤثرون كتمانها.

والدعاة إلى الله ليس أمامهم إلا نهج واحد : المصارحة بالحق ، والمسالمة فيه ، أو المخاصمة عليه .

وهم فى هذا المنهج علماء يدرسون الحقائق الدينية والاجتماعية ، أو السماوية والأرضية ،

فلا يقصرون فى بيانها ، ولا يجاملون فى تقريرها ، ولا يخفون بعضاً ويظهرون بعضاً آخر . كلا إنهم يكشفون كل مالديهم دون مواربة أو محاذرة ، وفى هذا يقول الله جل شأنه « ودوا لو تدهن فيدهنون » .

والمداهنة التى يودها المشركون لون من الهدنة على حساب المبادئ المقررة ، والمثل المنشودة ، وهى هدنة تقوم على تملق المجتمع ، أو الحرص على المنافع الخاصة ، أو النكوص عن التضحيات اللازمة .

والأنبياء ومن على قدمهم من الدعاة يرفضون رفضاً حاسماً هذا المسلك القريب من النفاق والأثرة . إنهم صور حية لرسالاتهم ، وحراس منتصبون للدفاع عنها والحياة بها أو الموت دونها ، لا يميلون عنها يمنة أو يسرة قيد أنملة .

وتأمل توجيهات القرآن الكريم لسيد الدعاة « ادع إلى ربك ، إنك لعلى هدى مستقيم ، وإن جادلوك فقل : الله أعلم بما تعملون ، الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون » .

وقوله جل شأنه « فلذلك فادع واستقم كما أمرت ، ولا تتبع أهواءهم »

وقوله « إن ربى على صراط مستقيم فإن تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم »

إن للطبائع الملتوية أسلوباً قد تنجح به فى ميادين شتى ، فإذا تعلق الأمر بالعقائد والفضائل والمبادئ لم تصب من النجاح سهما ، ذلك أن طريق أصحاب المثل غير طريق أصحاب المصالح ، وسياسة الدعوات القائمة على الشرف والمرتبطة بالسماء غير سياسة التطلع والصد .

ويجب أن نوقن بأن أهل الإيمان يرفضون السير بعيداً عن منطق الأمر والنهى والحلال والحرام ، ومايجوز ومالا يجوز أما الزعم بأن الغاية تبرر الوسيلة فهذا مالا يقبلون .

عن ابن إسحاق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى قبيلة بنى عامر بن صعصعة وعرض عليهم نفسه - وذلك بعد ما كذبه قومه وتجهمت الأرض له ، فقال رجل منهم : والله لو أخذنا هذا الفتى من قريش لأكلتنا العرب ! ثم جاء النبى فقال له : أرأيت إن تابعناك على أمرك ثم أظهرك الله على من خالفك أيكون لنا الأمر من بعدك ؟

قال ﷺ : الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء ! قال : أفنهدف نحورنا للعرب دونك فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا ؟ ! لاحاجة لنا بدينك ! ؟

إن هؤلاء قوم ينشدون الرياسة من وراء الإيمان الذى يساومون عليه ، فهم لايطلبون وجه الله ولا يفكرون فى ثواب الآخرة ! والذين يصلون لغرض ويصومون لغرض ليسوا أصحاب صلاة ولا صيام ! والذين يشترطون على الله لكى يؤمنوا به أن يأخذوا كذا وكذا ليسوا أهل إيمان .

ومن هنا انصرف نبى الله عنهم لأنه لايعرف سياسة خذوهات ولا يقود البشر عن طريق شهواتهم القريبة أو البعيدة ، إنما يقودهم عن طريق اليقين المحض والإخلاص المبرأ والعمل الصالح المبرور ، والمسلم امرؤ يحيا وفق تعاليم دين ، وهو ينتصر لدينه بالطرق التى يقرها وحدها ، وينأى عما عداها .

إن طبيعة الطير أن تسبح فى الجو وأن تطوى المسافات صافة أجنحتها وطبيعة الثعبان أن يزحف على الثرى وتتدافع أجزاؤه فوق التراب كى ينتقل من مكان إلى مكان .

والإيمان نقلة هائلة من طبع لطبع ، ومن سلوك لسلوك ، وهو يكلف صاحبه أن يترفع لا أن يسف ، وأن يشق طريقه محلقاً فى الجو لاخلداً إلى الأرض .

والمشكلة أن بعض الناس يتصور أنه باسم الإيمان يستطيع أن يتحرك بخطى الثعبان ، وهيهات .

تأملت كيف وصف القرآن لأولى الألباب فوجدتنى أمام مجموعتين من الخلال الزكية تكمل إحداها الأخرى :

المجموعة الأولى فى سورة آل عمران ، والثانية فى سورة الرعد .

فأما التى فى سورة الرعد فقد أحصت الآثار العملية فى الأخلاق والسير وعدتها

الامتداد الطبيعى للعقل المؤمن « إنما يتذكر أولو الألباب الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب ، والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم » .

وأما التى فى سورة آل عمران فقد تعرضت لمنابع الإيمان من ذكر وفكر ودعاء ولضوابطه من جهاد وهجرة وتضحية « إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض .. » إلى أن قال « فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا فى سبيلى وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم »

والآيات الكريمة فى كلتا السورتين تصف ناساً معينين ، وإنما تختلف الأوصاف باختلاف المواقف والمناسبات ، ومايستغنى مؤمن فى حياته الخاصة والعامة عن كل ما ذكر الله جل شأنه هنا وهناك .

قد تقول : لكن هذا الالتزام الدقيق سيجعل أصحابه غرباء مستوحشين بل قد يجعلهم ضعفاء مغلوبين! فإن القافلة البشرية تسير تحت رايات وشارات غير ماتقرر هنا ، وإذا لم يتهاون أهل الإيمان فى بعض مواريثهم هانوا وتنكرت لهم الدنيا . !

وأقول : هذا هو الهراء الذى لايشعر إلاخزى الحياتين والذى أنطق المفرط القديم بهذا البيت النادم :

بعت دينى لهم بدنياى حتى سلبونى دنياى من بعد دينى !

وإنى أحذر العرب والمسلمين فى كل قطر من مثل هذا المنطق الكفور الضعيف ، إنهم يجب أن يتشبثوا بأرضهم شبراً شبراً ، وبدينهم حكما حكما ، وليعلموا أن نية التفريط أول بوادر الهزيمة ، وأن النزول عن جزء من الحق إيذان بضياع الحق كله .

لقد بدأ الإسلام غريباً مستضعفاً ،فلما ثبت عليه أهله أصبح قطب الوجود ، ومنارة الدهور ، وما كلفهم ذلك إلا شيئاً واحداً هوصدق الإيمان وإن خفق القلب واضطرب القدم وقل النصر وفجر الباغى وعمت الأفق الغيوم .

يقول سبحانه: «وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً».

والشرط الفذ الذى نوه به القرآن ليتحقق هذا الرجاء هو قوله سبحانه «يعبدوننى لايشركون بى شيئاً» وبعد أن ألمع إلى أركان هذه العبادة المفروضة أومأ إلى قوى المبطلين بازدراء، وبين أنها ستذوب فى حرارة الإيمان المنتصر آخر الأمر «لاتحسبن الذين كفروا معجزين فى الأرض ومأواهم النار ولبئس المصير» إن النصر حليف دائم للإيمان الحق لايمكن أن يتخلف عنه أبداً، ولقد ذاق المسلمون فى تاريخهم المديد حلاوة النصر وآلام الهزيمة فهل كانت انكساراتهم لتخلف فى مواعيد الله؟

كلا إنهم هم الذين أوهنوا علاقتهم بالله، فلما ارتابت قلوبهم وضعف إيمانهم تخلت عنهم العناية العليا. قرأت هذا التعليق على جهاد نور الدين زنكى ضد الصليبيين القدامى أنقله بحروفه لعل فيه عبرة: «كان الإفرنج قد ملكوا أكثر البلاد منذ خمسين سنة، وكانوا أعداد الرمال تمدهم أوربا كلها بما يشد أزرهم ويضمن غلبهم، وحسب الناس أن هذه الغمة لن تزول، فما هى إلا أن ظهر الرجل الذى نشر راية القرآن، وضرب بسيف محمد، حتى عاد النصر يمشى فى ركاب المسلمين، وعاد أمرهم إلى الزيادة، وأمر الصليبيين إلى النقص، وبذلك يكون لنا كلما شئنا النصر!

إن راية القرآن لم تهزم قط، ومن هزم من أمراء المسلمين فى هـذا التاريخ الطويل إنما هزموا لأنهم كانوا يستظلون برايات المطامع والأهواء والعصيان والأحقاد ما استظلوا براية محمد.

وكانوا يضربون بسيف البغى والإثم والعدوان ماضربوا بسيف محمد. إنه ماضرب أحد بسيف محمد ونبا فى يده سيف محمد!»

وهذا حق سجلته القرون وشهدت به الأرض والسماء، وعندما ينتضى العرب هذا السيف فستكون من ورائه قوة الله التى تدك العدوان وتؤدب المجرمين. المهم أن نوفى لله فيوفى الله لنا وأن نذكره فيذكرنا وأن نلوذ به فيكمل جهدنا ويسدد خطونا.

العقيدة الإسلامية

بقلم فضيلة الأستاذ الشيخ سيد سابق
مدير عام الدعوة
بوزارة الأوقاف

الإسلام هو دين الله الذى أوحاه إلى محمد صلوات الله وسلامه عليه ، وهو إيمان وعمل ، والإيمان يمثل العقيدة ، والأصول التى تقوم عليها شرائع الإسلام وعنها تنبثق فروعه .

والعمل يمثل الشريعة والفروع التى تعتبر للإيمان والعقيدة .

والإيمان والعمل أو العقيدة والشريعة كلاهما مرتبط بالآخر ارتباط الثمار بالأشجار ، أو ارتباط المسببات بالأسباب والنتائج بالمقدمات .

ومن أجل هذا الترابط الوثيق يأتى العمل مقترناً بالإيمان فى أكثر آيات القرآن الكريم .

« وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار »

« من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون »

« إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً » .

ومفهوم الإيمان أو العقيدة ينتظم ستة أمور :

أولا : المعرفة بالله والمعرفة بأسمائه الحسنى وصفاته العليا والمعرفة بدلائل وجوده ومظاهر عظمته فى الكون والطبيعة .

ثانياً : المعرفة بعالم ماوراء الطبيعة أو العالم غير المنظور وما فيه من قوى الخير التى تتمثل فى الملائكة وقوى الشر التى تتمثل فى إبليس وجنوده من الشياطين ، والمعرفة بما فى هذا العالم أيضاً من جن .

ثالثاً : المعرفة بكتب الله التى أنزلها لتحديد معالم الحق والباطل والخير والشر والحلال والحرام والحسن والقبح .

رابعاً : المعرفة بأنبياء الله ورسله الذين اختارهم ليكونوا أعلام الهدى وقادة الخلق إلى الحق .

خامساً : المعرفة باليوم الآخر وما فيه من بعث وجزاء وثواب وعقاب وجنة ونار .

سادساً : المعرفة بالقدر الذى يسير عليه نظام الكون فى الخلق والتدبير .

وهذا المفهوم للإيمان هو العقيدة التى أنزل الله بها كتبه ، وأرسل بها رسله ، وجعلها وصيته

فى الأولين والآخرين ، فهى عقيدة واحدة لا تتبدل بتبدل الزمان أو المكان ولا تتغير بتغير الأفراد أو الأقوام « شرع لكم من الدين ماوصى به نوحاً والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » .

وما شرعه الله لنا من الدين ووصانا به كما وصى رسله السابقين هو أصول العقائد وقواعد الإيمان لافروع الدين ولا شرائعه العملية فان لكل أمة من التشريعات العملية مايتناسب مع ظروفها وأحوالها ومستواها الفكرى والروحى . « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً » .

وإنما جعل الله هذه العقيدة عامة للبشر وخالدة على الدهر لمالها من الأثر البين والنفع الظاهر فى حياة الأفراد والجماعات .

فالمعرفة بالله من شأنها أن تفجر المشاعر النبيلة وتوقظ حواس الخير وتربى ملكة المراقبة وتبعث على طلب معالى الأمور وأشرافها وتنأى بالمرء عن محقرات الأعمال وسفسافها.

والمعرفة بالملائكة تدعو إلى التشبه بهم والتعاون معهم على الحق والخير ، كما تدعو إلى الوعى الكامل واليقظة التامة ، فلا يصدر من الإنسان إلا ماهو حسن ، ولا يتعرف إلا لغاية كريمة .

والمعرفة بالكتب الإلهية .. إنما هى عرفان بالمنهج الرشيد الذى رسمه الله الانسان ، كى يصل بالسير عليه إلى كماله المادى والأدبى .

والمعرفة بالرسل إنما يقصد بها ترسم خطاهم والتخلق بأخلاقهم والتأسى بهم ، باعتبار أنهم يمثلون القيم الصالحة والحياة النظيفة التى أرادها الله للناس .

والمعرفة باليوم الآخر هى أقوى البواعث على فعل الخير وترك الشر .

والمعرفة بالقدر تزود المرء بقوى وطاقات تتحدى كل العقبات والصعاب ، وتصغر دونها الأحداث الجسام ، وهكذا يبدو بجلاء أن العقيدة إنما يقصد بها تهذيب السلوك وتزكية النفوس وتوجيهها نحو المثل الأعلى ، فضلا عن أنها حقائق ثابتة ، وهى تعد من أعلى المعارف الإنسانية إن لم تكن أعلاها على الاطلاق .

وتهذيب سلوك الأفراد عن طريق غرس العقيدة الدينية أسلوب من أعظم الأساليب التربوية .

حيث أن للدين سلطاناً على القلوب والنفوس ، وتأثيراً على المشاعر والأحاسيس ،

ولا يكاد يدانيه فى سلطانه وتأثيره شىء آخر من الوسائل التى ابتكرها العلماء والحكماء ورجال التربية .

فغرس العقيدة فى النفوس هو أمثل طريقة لإيجاد عناصر صالحة تستطيع أن تقوم بدورها كاملا فى الحياة وتسهم بنصيب كبير فى تزويدها بما هو أنفع وأرشد .

إذ أن هذا اللون من التربية يضفى على الحياة ثوب الجمال والكمال ، ويظلها بظلال المحبة والسلام .

ومتى سادت المحبة ارتفعت الخصومة ، وانقطع النزاع ، وحل الوفاق محل الشقاق ، وتقارب الناس وتآلفوا . وسعى الفرد لخدمة الجماعة ، وحرصت الجماعة على إصلاح الفرد وإسعاده .

ومن ثم تظهر الحكمة واضحة من جعل الإيمان عاماً خالداً . وفى أن الله لم يخل جيلا من الأجيال ولا أمة من الأمم من رسول يدعو إلى هذا الإيمان وتعميق جذور هذه العقيدة . « وإن من أمة إلا خلا فيها نذير »

وكثيراً ما كانت تأتى هذه الدعوة بعد فساد الضمير الإنسانى ، وبعد أن تتحطم كل القيم العليا ، ويظهر أن الإنسان أشد ما يكون حاجة إلى معجزة تعيده إلى فطرته السليمة ليصلح لعمارة الأرض وليقوى على حمل أمانة الحياة .

إن هذه العقيدة هى الروح لكل فرد بها يحيا الحياة الطيبة ، وبفقدها يموت الروح . وهى النور الذى إذا عمى عنه الإنسان ضل فى مسارب الحياة وتاه فى أودية الضلال .

« أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها » .

إن العقيدة مصدر العواطف النبيلة ومغرس المشاعر الطيبة ومنبت الأحاسيس الشريفة فما من فضيلة إلا وتصدر عنها ، ولا صالحة إلا ترد إليها .

والقرآن الكريم حينما يتحدث عن الصالحات إنما يذكر العقيدة فى طليعة أعمال البر كأصل تتفرع عنه وكأساس تقوم عليه . يقول الله سبحانه « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون »

وكانت الرسل تعرض على الناس هذه العقيدة عرضاً كله السهولة والبساطة والمنطق فتلفت أنظارهم إلى ملكوت السموات والأرض وتوقظ عقولهم إلى التفكير فى آيات الله وتنبه فطرهم إلى ماغرس فيها من شعور بالتدين وإحساس بعالم وراء هذا العالم المادى .

وعلى هذا السنن مضى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه يغرس هذه العقيدة فى نفوس أمته لافتاً الأنظار ، وموجهاً الأفكار وموقظاً العقول ، ومنبها الفطر ، ومتعهداً هذا الغراس بالتربية والتنمية ، حتى بلغ الغاية من النجاح ، واستطاع أن ينقل الأمة من الوثنية والشرك إلى عقيدة التوحيد ، ويملأ قلوبها بالإيمان واليقين كما استطاع أن يجعل من أصحابه قادة فى الإصلاح دائمة فى الخير ، وأن يخلق جيلا يعتز بالإيمان ، ويعتصم بالحق ، فكان هذا الجيل كالشمس للدنيا وللعافية للناس .

وقد شهد الله لهذا الجيل بالتفوق والامتياز فقال : « كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » .

ولقد بلغ الإيمان ببعض هؤلاء الصحابة إلى درجة قال فيها « لو كشف عنى الحجاب لما ازددت يقيناً » .

وفى حديث الحارث بن مالك الأنصارى مايعطينا الصورة المشرقة لهذا الإيمان . فقد مر حارثة برسول الله صلوات الله عليه وسلامه فقال له الرسول : كيف أصبحت ياحارثة ؟

قال : أصبحت مؤمناً حقاً ؟ . قال : انظر ماذا تقول ، فإن لكل شىء حقيقة . فما حقيقة إيمانك ؟ قال : عزفت نفسى عن الدنيا فأسهرت ليلى وأظمأت نهارى ، وكأنى أنظر إلى عرش ربى بارزاً ، وكأنى أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها ، وكأنى أنظر إلى أهل النار يتضاغون فيها .

فقال : عرفت ياحارثة فالزم .

ومنذ قامت دولة التوحيد على يدى خاتم أنبياء الله ورسله بقيت العقيدة تستمد قدسيتها من وحى الله وتعاليم السماء ، وتعتمد أول ماتعتمد على الكتاب والسنة ، وتتجه بالدرجة الأولى إلى تربية الملكات ، وإعلاء الغرائز ، وتهذيب السلوك ، كى ترفع الإنسان إلى السمو اللائق بكرامته ، وتجعل منه قوة إيجابية فى الحياة .

ثم كانت الملابسات السياسية والاتصال بالمذاهب الفكرية والمذاهب الدينية الأخرى وتحكيم العقل فيما لاقدرة له عليه سبباً فى العدول عن منهج الأنبياء ، كما كانت سبباً فى تحول الإيمان من بساطته وإيجابيته وسموه إلى قضايا فلسفية ، وأقيسة منطقية ، ومناقشات كلامية أقرب ماتكون إلى المناقشات البيزنطية .

ولم يعد الإيمان هو الإيمان الذى تزكو به النفس أو يصلح به العمل ، أو ينهض به الفرد أو تحيا به الأمة.

ولقد كان من أثر الخلافات السياسية والعدول عن منهج الفطرة ، والتأثر بالمذاهب الفكرية الطارئة وتحكيم العقل أن انقسم حملة العقيدة إلى مدارس مختلفة ، كل مدرسة منها تمثل لوناً معيناً من التفكير. وتستأثر هى وحدها بالحق دون غيرها فى زعمها ، ومن لم يدخل فى دائرة تعاليمها يعد فى نظرها خارجاً عن الإسلام .

فمدرسة لأهل الحديث ، ومدرسة للأشاعرة ومدرسة للماتريدية ومدرسة للمعتزلة ومدرسة للشيعة، ومدرسة للجهمية، إلى آخر هذه المدارس المتعددة المذاهب والمتنوعة الآراء:

وكل يدعى وصلا بليلى ... وليلى لا تقر لهم بذاكا
إذا اشتبكت دموع فى جفون ... تبين من بكى ممن تباكى

وأشهر الخلافات التى وسعت الهوة بين الأمة الواحدة هو ماوقع من خلاف بين الأشاعرة والمعتزلة . وكان أهم الموضوعات التى ثار حولها الخلاف هى ماياتى :

١ — هل الإيمان تصديق فقط أو هو تصديق وعمل ؟

٢ — هل صفات الله الذاتية ثابتة أو منفية عنه؟ ٣ — هل الإنسان مسير أو مخير؟

٤ — هل يجب على الله فعل الصلاح أو الأصلح أو لا يجب؟ ٥ — هل الحسن والقبح يعرفان بالعقل أو الشرع ؟ ٦ — هل يجب على الله أن يثيب الطائع ويعذب العاصى أو لا يجب ذلك ؟ ٧ — هل يرى الله فى الآخرة أو أن ذلك مستحيل ؟

٨ — ماحكم مرتكب الكبيرة التى لم يتب منها حتى مات ؟

إلى آخر هذه المسائل التى كانت مثار فرقة بين المسلمين والتى فرقت الأمة شيعاً وأحزاباً.

ولقد كان من نتائج هذا النزاع ومن آثار هذا الانقسام أن جنى المسلمون على أنفسهم جنايات خطيرة فتزعزعت العقيدة فى النفوس واهتز الإيمان فى القلوب فلم يعد للعقيدة السيطرة على سلوك الأفراد ولم يبق للايمان السلطان على تصرفاتهم .

وتبع ضعف العقيدة الضعف العام فى الفرد وفى الأسرة وفى المجتمع وفى الدولة، وفى كل جانب من جوانب الحياة ،وأخذ هذا الضعف يدب فى كل ناحية حتى أصبحت الأمة عاجزة عن النهوض بتبعاتها، والاضطلاع بمسئولياتها داخلياً وخارجياً، ولم تبق الأمة كما أرادها الله أن تكون صالحة لقيادة الأمم وهداية الشعوب .

وإذا كان تخلف الأمة عن غاياتها الكبرى هو ضعف العقيدة كان من الضرورى — ونحن نعمل على إعادة مجدها — أن نسعى جاهدين فى غرس العقيدة فى نفوسنا وأن نترسم الخطة التى رسمها الرسول صلى الله عليه وسلم فى تعهدها بالتربية والتنمية حتى تبلغ غايتها من القوة ، وتصل إلى النهاية من اليقين الذى يدفعنا إلى مجد الحياة ، ويرفعنا إلى أسمى درجات العز والشرف .

١ ـ قالوا لى : أنت متهم بتمييع المواقف ، فهل هذا صحيح ؟

بقلم الأستاذ
محمد جميل غازى

• الذين عرفونى ، وعرفوا منهجى فى « الدعوة إلى الله » يعلمون أننى لا أشغل نفسى ولا أشغل الناس ، بالمهاترات ، ولا بالمتاهات . . . !

وليس مرجع ذلك — كما يتوهم بعض قصار النظر — إلى جبن أو خوف أو تردد ، إنما مرده إلى أن الداعية ينبغى أن يشغل نفسه بالأهم فالمهم . . .

ولا شك أن أهم القضايا التى تفرض نفسها على الداعية المسلم اليوم هى قضايا « الإيمان » و « التوحيد » و « الاتباع » . . .

• لهذا ، جندت نفسى ، وجهدى ، ووقتى . . . لهذه القضايا التى تشغل فكر « المسلم فى القرن العشرين » ، وتلح عليه .

وليس هذا بالعمل الهين أو اليسير ، كما قد يتصور البعض ، إنما هو عمل شاق ، يحتاج إلى إرادة صادقة ، وعزم قوى ، وإيمان متين . . .

ألم يقل إمام أهل السنة والجماعة أحمد بن حنبل : « لأن أزيل جبلا من مكانه أهون على من أن أزيل بدعة ابتدعها الناس » ! !

فليعلم الذين شغلوا بالفاء « الاتهامات » و « الشبهات » جزافاً ، وبلا حساب : أننى شغلت نفسى ، بغير ما شغلوا به أنفسهم . . (ولكل وجهة هو موليها) ! !

° ° °

• ولأبدأ من الأول :

حينما ظهرت بادرة الاختلاف حول « دواوين السنة » . . . وقال كل فريق قولا ، ونحا نحواً . . . لم أشأ أن أقحم نفسى فى هذه الفتنة . . . أو بعبارة أصح فى « تلك المتاهة » . . .

واتخذت لنفسى موقفاً بعيداً عن « دائرة » الخلاف . . .

وربما لأننى فهمت أننى « بالموقف المعتدل » يمكننى أن أعمل شيئاً من أجل توحيد وجهات النظر . . .

• ثم يلى : الموقف المعتدل ، هو « الموقف المائع » كما تصوره البعض ، وصوره .. فلقد أعلنت منذ « اللحظة الأولى » لكلا الطرفين . رأيى فى « دواوين السنة » ، مركزاً على نقطتين هامتين :

اللحظة الأولى : أن الطعن فى رواية البخارى — وهى أصدق روايات الحديث على الإطلاق — طعن فى الإسلام ، وتاريخه . ورجاله . ومبادئه . . . بل طعن فى القرآن الكريم نفسه ! !

اللحظة الثانية : أن الطعن فى رواية البخارى - وهى أصدق روايات الحديث على الإطلاق - طعن فى كثير من أدلة التوحيد . . الذى ننادى به ، وندعو إليه . ونجاهد فى سبيله . . .

• لقد قلت هذا الكلام لكلا الطرفين . ونا ديت بهذه المبادىء ، فى وقت ما كنت أتصور ولا أعقل أن يخرج على الناس كتاب (سودت صفحاته التى تعد بالمئات) فيه تنديد بالبخارى . ومهاجمة للصحابة ! !

وما كنت أتصور ولا أعقل أن يكون لهذا الكتاب مؤيدون . وأن يعيش فى ظلاله دعاة . . .

فلما صدر هذا الكتاب ، . . .

وتجمع حوله الدعاة . . . .

تحول الموضوع فى تصورى وتقديرى من « قضية جانبية » إلى « قضية أساسية » . . بل إلى « قضية كبرى » ؛ ينبغى أن يهتم بها الداعية وأن يحذر الناس من شرها وضررها . . . !

• ولهذا ؛ كان لا بد لى أن أكتب فى هذا الموضوع ، وأخطب . . وكان لا بد لى من أن أدخل دائرة « الخلاف » ، لأقول كلمة « إنصاف » . .

إن القضية لم تعد « قضية توقف بالنسبة لبعض الأحاديث كما كنت أتصورها . . . ! إنما أصبحت « قضية شطب » لسائر الأحاديث . وفرق بين التوقف والشطب . . !

(فالتوقف) إيمان . . .

(والشطب) زندقة . . .

من الممكن أن (يتوقف) بعض الناس ، بالنسبة لبعض الأحاديث ، حتى يشرحها الله لصدورهم ، أو يشرح صدورهم لها . .

لكنه ليس من الممكن ولا من المستساغ أن نقدم (بجرأة الشيطان) (فنشطب) ما أقره الأئمة ، و (تنفى) ما أثبتته الأمة . . . بجرة قلم ! !

وليس من (المعقول) ولا من (المقبول) أن نلغى من اعتبارنا ، دواوين الحديث ، وعلوم السنة . . . التى بناها وأقامها (جمهرة صالحة) من سلف الأمة ، . . . ! !

تلك لعمرى قاصمه الظهر !

فاذا كنا - اليوم - قد شطبنا مائه وعشرين حديثاً ، فمن يدرينا كم . . وكم . . من الأحاديث « سنشطبها » غداً . . أو بعد غد . . ؟

وإذا كنا — اليوم — قد هاجمنا الصحابى الجليل أبا هريرة . . ورميناه بكل مايعيب ويريب . . فمن يدرينا . . كم . . وكم من الصحابه ستهاجم غداً . . أو بعد غد . . ؟

وإذا كنا — اليوم — قد نصبنا « طه حسين » عميداً للأدب العربى ، وإماماً للفكر الإسلامى المعاصر . . فمن يدرينا . . كم . . وكم من العمداء والأئمه سنصبهم غداً . . أو بعد غد . . ؟

* * *

• وقبل أن « أرفع » القلم . . عن هذا المقال القصير . . أحب أن « أضع » بعض الأسئلة بين يدى الذين قاموا بهذا العمل « المشكور » أو (الكفور) . . ألا وهو (تنزيه البخارى من الإسرائيليات) ! !

أولا : ما هو (الأساس العلمى المحدد) الذى يمكننا به أن نميز بين الحديث « الإسرائيلى » والحديث « اللا إسرائيلى » ! ؟

و . . ثانيا : إذا قلتم إن العقل وحده هو الأساس و « الفيصل » قلنا لكم . فما رأيكم فى الأحاديث « الضعيفه » و « الموضوعه » هل نقول فيها بالعقل أيضا ، فنثبت ما أثبته ونقوى ما قواه ، وننفى ما نفاه ؟ ؟

وثالثاً : وإذا قلتم إن العقل وحده هو الأساس و « الفيصل » فما رأيكم فى آيات القرآن وسوره ، وترتيب هذه الآيات فى تلك السور ، هل نخضعها - هى الاخرى - لحكم العقل ؟

ورابعاً : أى عقل تقصدون ؟ . . . وعقل من ستحكمون ؟ . . .

وما الفرق بين « العقل » عندكم . . و « العقل » عند المتكلمين . . و « العقل » عند الفلاسفة . . .

ثم ما الفرق بين « العقل » عندكم . . و « الذوق » عند الصوفية . .

وخامساً : لقد كان « المستشرقون » و « المستغربون » أكثر جرأة وصراحة منكم إذ حكموا العقل « فى القرآن » و « السنة » معاً . . .

وأنتم - اليوم - تحكمون العقل فى السنة وحدها ، فلماذا تؤمنون ببعض حديثهم وتكفرون ببعض ؟

وسادساً : ما رأيكم - دام فضلكم - فيما لو اختلفت العقول ، وتباعدت وجهات النظر حول حديث من الأحاديث ، فوجدنا بعض العقول تنفيه ، وبعض العقول تثبته . . فبأى (قاعدة) نحكم بينها ؟

علماً بأن (العقول) كثيراً ما تختلف فى أمور الدنيا ، فضلا عن أمور الدين ! ؟

وسابعاً . قد تقولون : القرآن هو الحكم : فما وافقه فهو الحق الذى لاشك فيه . وما عارضه فهو الباطل الذى لا شك فيه . . .

ولكن ، قولوا لى : مارأيكم فى الحديث إذا وافق القرآن . ولكن لم يقتنع به العقل عقلى ، أو عقل واحد من الناس - ! !

وقولوا لى . ما رأيكم فى الحديث إذا أفاد معنى ليس فى القرآن ، هل نحن ملزمون به ، أو غير ملزمين ، وما هو مصدر (قوة الإلزام) . . . علماً بأن (دواوين) السنة - كلها وعلى رأسها البخارى ، قد دخلها الاحتمال ، فبطل بها الاستدلال . . . ؟

وثامناً . ومارأيكم - دام فضلكم - فى الأمور التعبدية ، . . ماذا وراءها من حكمة ؟

ثم . . لماذا لا تكونون أكثر (صراحة) وأدق (منطقاً) فتنفون هذه (الأمور التعبديه) و (السنة) عموماً . . . كما نفاها من قبلكم (محمد نجيب متولى) وجماعته (أنصار القرآن) ! !

وتاسعاً . ألا ننتظر - منكم ، أو من غيركم - كتاباً آخر ، يضيف مجموعه أحاديث (إسرائيليه) (لاعقلية) أخرى . . حتى تكون (النظرة) إلى كتب الحديث . . (نظرة شمولية) ؟

وعاشراً . ألا ننتظر كتاباً (آخر) ، يضاف إلى هذا الكتاب (الأول) تحذرون فيه من (آيات إسرائيليه) ، وقعت فى القرآن الكريم ؟ ؟

تلك (عشرة) أسئلة (كاملة) . . .

وما زال فى النفس تساؤلات . . وتساؤلات . . . ؟

— ٤ —

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، إياك نعبد وإياك نستعين ، اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين .

٤ — مالك يوم الدين :

الصفة الثالثة التى استحق الله تعالى بها الحمد — أنه مالك يوم الدين ، ويوم الدين هو يوم الجزاء والحساب ، والثواب والعقاب ، هو يوم القيامة(١) .

والله تعالى — وحده — مصرف هذا اليوم بحسب إرادته ومشيئته ، يحاسب كل إنسان على ما قدمت يداه من خير أو شر ، ومن عمل صالح أو عمل سيئ ، ويجزيه الجزاء الأوفى ، كما قال تعالى فى سورة الزلزلة : « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره(٢) » « وأن ليس للانسان إلا ما سعى ، وأن سعيه سوف يرى ، ثم يجزاه الجزاء الأوفى(٣) » .

هذا اليوم أمره بيد الله وحده « لمن الملك اليوم لله الواحد القهار(٤) » وهو حكم عدل ، لا يظلم مثقال ذرة ، فلا ينفع الإنسان فيه ماله ولا أولاده « يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم(٥) » ولا ينفعه أصدقاؤه وخلانه « يوم لا تملك

(١) لهذا اليوم كثير من الأسماء ، جاء بها القرآن الكريم ، منها : اليوم الآخر ، يوم البعث ، يوم الفصل ، يوم التغابن ، الطامة الكبرى ، الصاخة ، الحاقة ، القارعة ... الخ . (٢) الآيتان ٧ ، ٨
(٣) سورة النجم ، الآيات ٣٩ — ٤١ (٤) سورة غافر من الآية ١٦ (٥) الشعراء الآيتان ٨٨ ، ٨٩

نفس لنفس شيئ والأمر يومئذ لله» (١) ولا يفيده كذبه واحتياله «يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون (٢) يوم لا ينفع فيه الملائكة المقربون، ولا الأولياء الصالحون - من تمادى فى الطغيان، وباء بالخسران «ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع (٣)».

كل هذا لا ينفع الإنسان يوم الجزاء، إنما ينفعه إيمان اعتقده، وعمل صالح قدمه: يوم يقوم الناس لرب العالمين، ينظرون يمينا وشمالا، وخلفا وأماما، فلا يجدون ناصراً ولا معينا، ولا محاميا خطيراً: لا يشفع أحد لأحد إلا لمن ارتضى الله ولا يتكلم أحد إلا بإذنه.

وفى الإيمان بهذا اليوم تربية للعبد، وإنه إذا آمن بأن هناك يوما يظهر فيه إحسان المحسن، وإساءة المسيء، وينال كل منهما جزاءه دون محاباة أو ظلم، وأن زمام الحكم فى ذلك اليوم العظيم بيد العليم الخبير، الذى لا يخفى عليه شيء فى الأرض ولا فى السماء - تكون عنده خلق المراقبة، وتوقع المحاسبة: فكان ذلك أعظم سبيل لصلاحه، وصلاح كل ما يعمل.

واتصاف الله تعالى بالرحمة، وبالتفرد بالملك يوم الدين - يجعل المؤمن دائما بين الرجاء فى رحمة الله، فلا ييأس (إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون (٤)) والخوف من عذاب الله فلا يأمنه «فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون (٥)»، وهذا هو حد الاعتدال والتوسط الذى وصف الله تعالى به عباده المؤمنين المتقين «ويرجون رحمته ويخافون عذابه (٦)» «يدعون ربهم خوفا وطمعا (٧)».

واتصاف الله تعالى بهذه الصفات كلها: صفة الألوهية، والربوبية، والرحمة، والرحمانية، والملك - يستلزم اتصافه بجميع صفات الكمال؛ إذ يستحيل ثبوت هذه الصفات لمن ليس بحى، ولا سميع، ولا بصير، ولا قادر، ولا متكلم، ولا فعال لما يريد، ولا حكيم فى أقواله وأفعاله.

فصفات الجلال والجمال أخص باسم «الله»

وصفات الفعل والقدرة، والتفرد بالضر والنفع، والعطاء، والمنع، ونفوذ المشيئة

---

(١) الانفطار: ١٩ (٢) النور: ٢٤. (٣) غافر: من الآية ١٨ (٤) من الآية ٨٧ من سورة يوسف (٥) من الآية ٩٩ من سورة الأعراف. (٦) من الآية ٥٤ من سورة الإسراء (٧) من الآية ١٦ من سورة «الم السجدة».

وكمال القوة وتدبير الخليقة أخص باسم « الرب » و « الملك » و « المالك »[1]

وصفات الإحسان والجود ، والبر والحنان ، والمنة والرأفة ، واللطف أخص باسم « الرحمن » .

والله نسأل أن يشملنا برحمته ، وأن ينجينا من أهوال يوم الدين ، وأن يجعلنا من الفائزين المفلحين ، إنه على مايشاء قدير ، وبالإجابة جدير .

٥ ـ إياك نعبد وإياك نستعين :

بعد ماتقدم فى الآيات السابقة من أوصاف الله عز وجل ، ووضوح عظمته يتجه إليه الإنسان بالخطاب قائلا : « إياك نعبد ، وإياك نستعين » كأنه يراه[2] ، وبذلك يتجلى ـ مع ماتقدم من الصفات ـ معنى جديد ، وهو معنى قرب الله لعباده ، وشهوده كل أحوالهم ، وأنه أقرب إليهم من حبل الوريد « ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ، ولا خمسة إلا هو سادسهم ، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ، ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ، إن الله بكل شىء عليم »[3] .

والمعنى : نخصك وحدك بالعبادة ، لانعبد أحداً غيرك ، كما نخصك بالاستعانة لانستعين إلا بك .

والعبادة : وهى خضوع لايحد لعظمة لاتحد ، تدل على أقصى غايات التذلل الروحى ، والحب النفسى .

وتطلق العبادة على التوحيد ، لأنه أساس كل تذلل وخضوع ، كما تطلق على الأعمال المفروضة التى يجب على كل مسلم أداؤها ، من صلاة ، وحج ، وصوم ، وزكاة ، وجهاد .

ومادام المعبود بحق هو الله وحده ، فهو صاحب الحق ـ وحده ـ فى تشريع العبادات وتحديدها ، وليس لأحد سواه أن يصنع أو يزيد أو ينقص فيما شرع الله ، كما لاينبغى لأحد أن يتوجه بما رسم الله لعبادته إلى أحد من خلقه ، فلا ركوع إلا

---

(١) ففى الآية قراءتان (مالك يوم الدين) بمد الميم من الملك (بكسر الميم) و (ملك يوم الدين) بدون مد الميم من الملك (بضم الميم) ، وقد جاء الوصفان كلاهما فى القرآن الكريم ، (قل أعوذ برب الناس ، ملك الناس) ، (قل اللهم مالك الملك ..) (٢) الإحسان فى العبادة : أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك (٣) سورة المجادلة من الآية ٧

لله ، ولا سجود إلا لله ، ولا طواف إلا حول الكعبة بيت الله ، ولا نذر إلا لله ، ولا حلف إلا بالله ولا خضوع ولا تذلل إلا لله .

والاستعانة : طلب المعونة بعد بذل الوسع فى العمل ، والأخذ فى الأسباب ، والعاقل لا يطلب المعونة إلا من القادر عليها ، والله - وحده هو القادر على كل شىء وقدرته شاملة كاملة ، لا يعجزه شىء ، ولا يخرج عن سلطانه شىء ؛ فهو الذى يهيىء الأسباب ، وهو الذى يزيل الموانع ، وهو الذى يعطى إن شاء ، ويمنع إن شاء .

والاستعانة أخت العبادة ، فلا تكون إلا بالله « إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله » ، وفى هذا سمو بالمؤمنين عن مواطن الذلة والاحتياج لبشر أمثالهم ، أصحاب قوى مستعارة محدودة ، وهم فى قوامهم محتاجون كاحتياجهم ، مستعينون كاستعانتهم « إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين [1] » ، « والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون [2] » .

والتعاون بين الناس ليس استعانة بغير الله ، فقد أمرنا الله تعالى بالتعاون فى آيات كثيرة : « وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان » فإن هذا التعاون فى دائرة الحدود البشرية لا يخرج عنها . ولهذا لا يأمر الدين ولا يرضى بطلب المعونة إلا ممن يملكها ، فلا يرضى بالتوجه فى طلب الحاجات إلى الأموات ، ولا يرضى باستكشاف الغيب ممن يدعون علم الغيب ، ولا يجعل بين خلقه وبينه وسطاء فى طلب المغفرة والرضوان .

هذا هو التوحيد الخالص ، وهو سبيل المؤمنين كما رسم الله ، فهؤلاء الذين يستعينون بأصحاب الأضرحة والقبور فى قضاء حوائجهم ، وتيسير أمورهم ، وشفاء أمراضهم ، ونماء حرثهم وزرعهم ، وهلاك أعدائهم ، وغير ذلك من المصالح - هم عن سبيل التوحيد ناكبون ، وعن ذكر الله معرضون ؟

(يتبع)

منتر أحمد حشاد

---

(١) سورة الأعراف الآية ١٩٤ (٢) الأعراف ١٩٧

الإسلام دين الحياة

للأستاذ محمد فتحي محمود : المحامي بالاسكندرية

لقد أصيب الإسلام بمجموعة من الأدواء القتالة حين اعترى المسلمين الجهل بالإسلام وروح الإسلام وأهداف ومرامي الإسلام فأخذ يبتعدون شيئاً فشيئاً عن حقائق الإسلام العليا وعن معانيه الكبار فاطمست تلك الحقائق والمعاني في نفوس جمهرة المسلمين، وانفتح الباب فولجته وفود غير إسلامية استطاعت أن تغزو عقول وقلوب وعقائد وتشريعات المسلمين وتقيم باسم الإسلام ديناً غير إسلامي تقبله كثير ممن لا يعلمون على أنه ليس إسلاماً، وبه دانوا. لأن مرآة الإسلام الصافية قد غبشتها تلك الوفود، فأطفأت بريقها. ولم يبق على صفحتها إلا صورة باهتة مشوهة رضيها المسلمون ديناً. وكان من أعنف الوفود وفد الوثنية الذي عاداه الإسلام أعنف معاداة وحاربه أشد محاربة. فحل في القلوب حب غير الله محل الله. وانصرف الناس بكلياتهم إلى هياكل الأوثان حيث يقفون. وقد نسوا ربهم — في شوط كبير من الخضوع والخشوع والضراعة. وأحيانا بالابتهال الممزوج بالذل، والانكسار المبلل بالدمع المتون، ثم وفد التصوف بما فيه من مجاهاة للإسلام من عقائد معقدة من حلولية واتحادية ووحدة الوجود، ومن فلسفات تحول الإسلام إلى ألغاز وطلاسم ومعميات تشق بمن يقبلها إلى متاهات لا هداية معها إلى طريق الله السهل ومن أناشيد وأذكار وحركات تدعو إلى الحزن والأسى بل إلى أشد الاشمئزاز ومن أخلاق وسلوك ليس فيها رائحة الإسلام: من توا كل وكسل واتكال على القدر المجهول وتبرير الأخطاء باسم القدر والقضاء والانعزالية والسلبية وما شابه ذلك.

ثم وفد المستشرقين من أبناء الغرب والمستغربين من أبناء الشرق الذين لم ينهلوا من الإسلام والدين لا يعرفون عن الإسلام إلا ما عليه العامة من جهالات التقليد ودخيل المبتدعات وقاذورات الوثنيات. رأى أولئك وهؤلاء ما عليه المسلمون من جهل بالدين يشاركهم في ذلك بعض مشايخهم. وضياعهم في دنياهم وإقامة مجتمعهم على المستوردات التشريعية والاقتصادية والأخلاقية أحياناً والاجتماعية فاستنتجوا من ذلك بسوء قصد أحياناً وبجهل أحياناً أخرى أن الإسلام دين لا يصلح للحياة، ودليل عدم صلاحه انحطاط المسلمين في دينهم ودنياهم، وعدم قدرتهم على إدارة أوطانهم. وأنهم يعتمدون على الغرب.

والحقيقة أن المسلمين ما ارتقوا إلا بهذا الإسلام حين فهموه فهما صحيحاً، وطبقوه تطبيقاً سليما، وسادوا به وسطروا على هام الزمن معانى العز والخلود، وهضموا أكبر الحضارات، ورفعوا منارة الحضارة الإسلامية، تشع على الكون علماً وعدلا وخلقاً.

فليس الإسلام تخلفاً وجهلا وكسلا وجبنا، ونوما وتضرعا، ورهبنة، إنما الإسلام ينظم كل مافى الحياة ويصوغه صياغة قوية لا يتطرق إليها وهن أو ضعف.

فالإسلام دين ودولة، وروحانية، ومادة، غاية ووسيلة، خلق وسلوك، عمل وأسلوب، تشريع وعدل، عزة وكرامة، سيادة وقيادة عبادة، وجهاد، زعيم وقواد وشعب، أرض وسماء ووطن، أحاسيس وعواطف، قرابة وأخوة وأرحام، روابط وصلات، آمال وأمانى، حق وصبر، ثراء وخصب ونماء، عقل وقلب وتفتح، شجاعة وإقدام، نظافة ونظام، تدبير وتقدير، محاسبة وجزاء، حب للمعروف، وتنكر للمنكر، رحمة وعفو، يقظة وحركة، عالمية وإنسانية، تصميم وإصرار ثم هو بعد كل ذلك وغيره طريق سوية على جانبها المنائر والأنوار تجذب الناس إليه بشعاعها الهادى. ويهيمن عليه كتاب الله مع فهم سليم مستقيم بعيد عن المحشين، وسنة صحيحة وضاءة لا يكتنفها ضعيف أو مكذوب. (إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم).

(وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا).

فاسلامنا دين الحياة التى لا تستقيم الحياة بدونه، ولن تسعد إنسانية تتخلف عن تعاليم هذا الدين الذى فيه حياة للقلوب والعقول والمجتمع البشرى. ولكم نرى من الآيات ما تدل على أن الإسلام يحيى وينعش كل ما يتصل ويدفعه إلى الحركة والنشاط والإنتاج وأن الله عبر عن الإسلام بأنه الروح التى هى الحياة (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا..) وجعل الله حياتنا فى هذا الإسلام (يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم...) وجعل الله فى إقامة حدوده حياة لنا (ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب...).

وأن الإسلام ملىء بعناصر الحياة الحقة والتى قام عليها، فجثت الحياة أمامه راضية به عليها ومحركا.

فان من أقوى عناصر الحياة للجماعات الناهضة العلم الذى يقدمه الله على التوحيد (فاعلم أنه لا إله إلا الله).

والله يقول (الرحمن علم القرآن) ولم يقل حفظ القرآن لأن القرآن علم. ومدح الله العلماء (إنما يخشى الله من عباده العلماء) (شهد الله أن لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط..) والرسول عليه السلام يقول «من سلك طريقاً يلتمس فيه علما سهل الله له طريقاً إلى الجنة ...».

ثم الخلق من الصدق والأمانة والوفاء والحياة والإيثار ... مما تعمل على حفظ الأمة من الفناء ومما امتدح الله به نبيه (وإنك لعلى خلق عظيم).

كذلك المساواة التى تقضى على الفوارق تلك التى تسبب أحقاداً وحسداً (كلكم لآدم وآدم من تراب) (من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه) كذلك التحرر من الاستعباد إذ جاء الإسلام ليخرج الناس من عبادة البشر إلى عبادة الله وحده ولقد رأينا هذا المعنى فى قول أبى بكر «من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ...».

كذلك الشجاعة الأدبية والشجاعة فى مواجهة البأس، ومما جاء فى الشجاعة الأدبية قوله تعالى (وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) والشجاعة الدينية (قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة).

كذلك العدل لا يقوم مجتمع بدونه (وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى).

كذلك الشورى وعدم الاستبداد (وشاورهم فى الأمر) (وأمرهم شورى بينهم) كذلك المعنى الإنسانى الذى يولده الإسلام فى المسلم من رحمة بالصغير والحيوان (فى كل ذات كبدة رطبة أجر) وعدم الاعتداء على غير المسلم (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين).

صعاب على الطريق

بقلم الأستاذ الدكتور عيسى عبده

ثم عكف الاقتصاديون أيضاً خلال الحقبة ذاتها (القرن التاسع عشر) على معالجة النقص الذى تبدى مع الزمن . فى آراء آدم سميث بشأن التجارة الخارجية . . وأعدوا النظر فى الأسس الصحيحة لهذا النشاط العالمى الخطير .. وتأثروا بالمنهج الاستقرائى الذى يبدأ بالمشاهدة العلمية ، وجمع الحقائق . وهنا واجهت الدراسات الاقتصادية صعابا من طبائع الأشياء لقد اختلف بعض الحقائق عن بعض باختلاف البلاد .. فهذا بلد زراعى ، وذلك صناعى ، هذا متقدم والآخر متخلف .. ولكل من هذه المكونات الخاصة لاقتصاديات الإقليم أثر على تجارته الخارجية ، ولذلك لم يكن من الميسور الوصول إلى قواعد عامة .. ومن ثم نظرية واحدة لهذا الفرع الخطير من فروع النشاط الاقتصادى العالمى .

لقد تراخى بعض البلاد المعروفة بدراستها الاقتصادية المستمرة خلال مائتى عام مضت (كانجلترا) تراخى هذا البعض فى تركيز الاهتمام على كل ماله صلة بالاقتصاد المتخلف وهذا أمر يعيب البحث العلمى الخالص . . إن كان يهدف حقاً إلى خدمة الإنسانية برفع الكفاية وتقليل الضحية وزيادة الرفاهية للناس كافة . . أو لأكثرهم على أقل تقدير .

يقول بعض الثقات إن دراسة التجارة الخارجية بقدر كاف من الإحاطة . . يخرج إلى ميادين لاشأن للاقتصاد بها . . ولذلك تخلف بعض العلماء عن التوسع فى وضع نظريات عادلة للتجارة الخارجية تشمل بلاداً تنتج الخامات وتفيض عن حاجتها ولم تتوافر لها مقومات التصنيع . وتشمل بلادا لم يرزق أهلها دراية كافية فى التطبيقات الفنية ،

وأخرى لم ترزق من المراكز المميزة مايحمل لها الصدارة فى البحر أو عبر اليابسة . . وهكذا تفاوتت معدلات التبادل وزادت البلاد الغنية ، كما زادت البلاد الفقيرة حرمانا حتى أهدرت الحاجة آدميتها .. وكل ذلك لأن طريق الدراسات الاقتصادية لاتخلو من الصعاب ، والحق أنه مامن صعوبة لاتذلل .. إلا واحدة . . هى اقتناع الفرد بأن قدراته وهباته جميعا أمانة يسأل عنها .. وهى إنما وهبت له ليجعلها فى خدمة الإنسانية . لا لتكون أداة بطش، أو أداة استغلال .

ومن الكتاب الذين جاءوا بعد آدم سميث وكان لهم أثر عميق فى سير الدراسات الاقتصادية (بنثام) كان مقلا فيما كتب ولكن منهجه فى البحث والظروف التى عاش فيها بإنجلترا كان لها أثر فى تكوين آرائه التى اعتنقها كثيرون ممن جاءوا بعد آدم سميث ، ومن أجل ذلك كان بنثام جديراً بكلمة تربط جهوده بجملة الأدوار التى مر بها بناء الاقتصاد كما نعرفه اليوم، وبيان ذلك :

كان هذا الاقتصادى الانجليزى من الناطقة ، وكان عنيفا قاسيا فى الربط بين القيود وأسبابها، فما لم تكن هناك عوامل قوية تبرر تقييد نشاط الفرد، أو توجيهه ، أو حتى إصدار التعليمات إليه ممن يملك ذلك فإن بنثام كان عنيفاً فى تصديه لكل تدخل فى سلوك الأفراد، وساعده على التمسك بما ذهب إليه وانتشاره فى الأوساط العلمية ودوائر الأعمال فى انجلترا لعهده — ونجحت فى الإفادة من التطور السريع الذى مر به النشاط الاقتصادى العالمى، على حين أن أقطار أوربا تخلفت عن الركب ، وكان السبب الرئيسى هو تحرير السلوك الفردى فى هذا الخصوص — عند بنثام ومدرسته — من التقاليد والعادات وشتى القيود . مع تشجيع التصرف الفردى على أساسين : أحدهما الاعتراف بالمنافسة بغير شرط . والآخر التسليم بأن كل إنسان يبذل قصارى الجهد فى تحقيق أكثر الخير لنفسه ولمن يتصل به .

ويقول المؤرخون المنصفون من الانجليز : بأن هذه النزعة التى قواها «بنثام» وهى

النزعة الفردية مع المبالغة فى تقدير وزن المنافسة الطليقة (إن صح لها وجود بغير قيد) ويقول المؤرخون بأن هذه النزعة تدخل فى جملة الأخطاء التى وقع فيها الاقتصاديون الانجليز خلال القرن التاسع عشر ، ومن آثارها أنهم أغفلوا النزعة الجماعية التى انتشرت خارج انجلترا ثم تطورت وتفجرت فى كتابات الاشتراكيين ومن تابعهم ، ويعزو البعض من الكتاب ما كان من أمر الاقتصاديين الانجليز خلال القرن التاسع عشر ، ومتابعتهم لبنثام (فيمن تابعوا) إلا أن الدراسات الاقتصادية عندئذ كانت أقرب إلى دوائر الأعمال منها إلى دوائر البحث العلمى الخالص ، بمعنى أن كثيراً من الدارسين كانوا على صلات وثيقة بالمصالح الآخذة بالازدهار ، وكان اندفاع الفرد ومقامرته من العوامل الحاسمة فى تحقيق الثراء لنفسه ، وباجتماع الثروات الطائلة للكثيرين يكون ثراء المجتمع .. أما أن تكون الرفاهية موزعة على الجميع ، بحيث تصل فى جملتها إلى أكبر عدد أو إلى أعلى مستوى ، فلم يدخل شىء من ذلك فى حساب رجال الأعمال المهتمين بتشجيع الدراسات الاقتصادية وتأييدها فيما تتجه إليه من رأى يتفق وأحداث العصر .

ويقول آخرون أيضاً بأن (بنثام) ومن تابعه بالغوا فى اعتناق النزعة الفردية كما بالغوا فى البعد عن النزعة الجماعية لأسباب أملتها الفطرة .. فهم كانوا يطلبون الأمن على الحياة والولد والمال ، فى عهد أظلته الثورة الفرنسية القريبة من زمانهم ، وقد طغت فيها النزعة الجماعية الجامحة ، التى ظنت بأن تحقيق العدالة لا يكون إلا بتحطيم كل حصانة يعيش الفرد فى ظلها ويتلقاها عنه بنوه .. وذهب بعض الناقدين لبنثام إلى حد القول بأن طلبه للأمن وفقاً لمنهجه ، وفى ظل الرعب من أحداث الثورة الفرنسية ، حمله على أن يصل بحقوق الفرد والنظم التى تكفلها إلى حد القداسة ، ومن حيث إن بعض هذه النظم كان ظالماً فقد أخطأ كل من تعلق بوهم القداسة لنظم يضعها الإنسان ، ولذلك رأينا الصروح تتهاوى ولا تزال . وهكذا نرى أن زوال القداسة عن النظم التى يضعها الناس قد مهد لإعادة النظر فى جملة الأوضاع التى استمدت وجودها من الفكر وحده ، كما مهد لمحاولة الرجوع إلى مصدر آخر بخلاف الفكر الذى قد يضل وقد يهدى ، مالم ينشط فى إطار يمنعه من الخروج عن حدود طاقته ، ومن ثم كان للدين دوره مرة أخرى بعد أن طال احتجابه .

المجتمع الجاهلي

- ١ -

بقلم الأستاذ مصطفى برهام
سكرتير فرع الجماعة بالمحلة الكبرى

لا ينبغي أن يقتصر فهم المراد بكلمة الجاهلية إذا وردت في القرآن الكريم بأنها تلك الفترة الزمنية التي سبقت الإسلام فحسب، وإنما ينبغي أن يعلم أن مفهوم الجاهلية إلى جانب ذلك يحمل في كل آية من آيات القرآن التي تحدثت عن الجاهلية صفة من الصفات التي تميزها بأنها ظاهرة اجتماعية إنسانية، بغض النظر عن الزمان والمكان، ولذلك فان صفات المجتمع الجاهلي قبل الإسلام إذا ما عادت إلى الظهور في أي مجتمع، كان بالمفاهيم القرآنية مجتمعاً جاهلياً ولو كان ذلك بعد الإسلام... ولقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه موفقاً وملهماً عندما قال: «تنقض عرا الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية».

ومن أسف أن الكثرة الكثيرة من المسلمين اليوم تعيش في مجتمعات جاهلية صنعتها بنفسها، وهي تظن أنها تقيم مجتمعات إسلامية متمدينة متحضرة، وذلك لأنها لم تعرف سمات المجتمع الجاهلي قبل الإسلام... وفي تقديري أن الملامح الرئيسية للجاهلية تقوم على خمس ركائز. هي الشرك بالله في العبادة، واتباع الهوى وعدم العدل في الحكم، والغضب، والحمق، والعصبية في السلوك، والجبن الذي يصور الحياة والموت تصويراً باطلاً، وسفور المرأة ومبالغتها في العري والتبرج. وقد وردت كلمة الجاهلية في القرآن الكريم في أربعة مواضع، لتوجيه النظر في كل موضع من تلك المواضع إلى ركيزة من ركائز المجتمع الجاهلي، ليتخلص المجتمع الإسلامي من تلك الملامح الجاهلية جميعاً، ويكون مجتمعنا متميزاً بالتوحيد والعدل والتعقل والشجاعة والاحتشام.

الشرك بالله: كانت السمة الرئيسية للمجتمع الجاهلي أنه مجتمع مشرك. فسدت فيه الفطرة فضل سواء السبيل، واتخذ أفراده من دون الله أنداداً وشركاء، ولذلك كان مجتمعاً متخبطاً في عقيدته، متحيراً في عبادته، فهو تارة يتجه بالخضوع والخشوع والذلة والضراعة إلى أصنام لا تضر ولا تنفع، يقدم لها القرابين، وينذر لها النذور، معتقداً

أنها تشفع عند الله وتقرب عابديها إليه زلفى . وتارة أخرى يتجه بضراعته إلى عباد من البشر أفضوا إلى خالقهم ، يقيم على قبورهم النصب ، ويضيء السرج ، ثم يعظم هذه القبور ، ويطوف بها متبتلا ضارعا خاشعاً ، يتمسح بأخشابها وأستارها ملتمساً البركة والشفاء وكشف الضر وجلب النفع . ويفند القرآن الكريم هذه الدعاوى جميعاً حيث يقول « إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين ، ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ، إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون إن الله لا يهدى من هو كاذب كفار(١) » ، ثم يؤكد القرآن أن هؤلاء الشفعاء الذين صنعهم الوهم بشر لا يملكون أكثر مما يملك البشر « إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين(٢) » . ثم يشير القرآن الكريم فى إعجاز إلى فقر الناس جميعاً إلى ربهم ؛ وفى ذلك توجيه وإثبات لعجز البشر جميعاً وقدرة الله وحده « ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ، إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير ، يأيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغنى الحميد(٣) » .

إذن فكل مجتمع تظهر فيه هذه السمة ، وهى الضراعة والاستغاثة والاستعانة والنذر واعتقاد الضر والنفع فى غير الله هو مجتمع جاهلى .

اتباع الهوى وعدم العدل : كان التفاضل فى المجتمع الجاهلى يقوم على معايير مختلة ، وهى القوة والثراء والنسب . ولهذا كانت مكانة الفرد الاجتماعية تتحدد على أساس تلك المعايير ، وجاء الإسلام ليهدم كل هذه المعايير وتلك الأسس . وليضع معياراً واحداً للتفاضل هو التقوى « إن أكرمكم عند الله أتقاكم ... والسادة دائماً فى كل مجتمع جاهلى لا يرضون بهذا المعيار الإلهى العادل ، لأنه يهدم التمييز الظالم الذى صاروا بمقتضاه سادة ، هم وحدهم مصدر السلطة والقوة والثراء .. ظلمهم عدل ، وطغيانهم مساواة ، وضلالهم حكمة وحكمهم عدل وحق .. وإذا اختصم فريقان فى أمر فالحق دائماً فى جانب الأقوى أو الأرفع نسباً أو الأكثر ثراء .. ويهدم القرآن هذا المعنى حيث يقول « وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيراً من الناس لفاسقون ، أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون(٤) » .

ويقتضى هذا المفهوم القرآنى ، فإن كل مجتمع تختل فيه المعايير بحيث تختلف فيه

(١) الزمر ٢ـ٣ (٢) الأعراف ١٩٤
(٣) فاطر ١٣ ـ ١٥ (٤) المائدة ٤٩ ، ٥٠

الأحكام بين الثواب والعقاب باختلاف منازل المتعاملين الاجتماعية ، وتبعاً لذلك تضيع حقوق الضعفاء الفقراء هو مجتمع جاهلي . ولعل أبا بكر الصديق رضي الله عنه وهو الذي تربى في مدرسة النبوة ، يترجم المفهوم القرآني للعدل أصدق ترجمة ، عندما يحدد سياسته فور توليه أمر المسلمين بعد النبي صلى الله عليه وسلم ، فيقول في خطبة له ينبغي أن تكون دستور كل حاكم مسلم : « إني وليت عليكم ولست بخيركم . فإن رأيتموني على حق فأعينوني ، وإن رأيتموني على باطل فسددوني . أطيعوني ما أطعت الله فيكم ، فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم ، واعلموا أن ضعيفكم عندي قوي حتى آخذ الحق له . وقويكم عندي ضعيف حتى آخذ الحق منه » ...

الغضب والحق والعصبية : كان المجتمع الجاهلي مجتمعاً قبلياً تملأ قلوب أفراده العصبية ، ويسيطر عليه الغضب والحق . ولذلك كان يثور لأتفه الأسباب ، وتنشب الحروب الطاحنة بين قبائله لنداء شيخ من شيوخ القبائل أعماه الغضب على قبيلة أخرى أو امتثالا لرغبة حمقاء في صدر كبير من الكبراء للثأر والانتقام . وكم سالت دماء أبرياء على رمال الصحراء التي لم تعد ترتوي من دماء بنيها ، وكم انتهكت كرامة أناس لعداوة طارئة عن طريق شتمهم وسبهم بأقذع ألوان الشتائم والسباب ، وكم اندفع الشعراء يسلقونهم بألسنة حداد معددين مثالبهم . وهم يهجونهم في قصائد تسير بها الركبان ، ولذلك ملأ الحقد والبغضاء والعداوة صدور الناس بعضهم لبعض ، وحدثت الفرقة والخصومة ، فتفرق الجمع ، وتمزق الشمل ، والمجتمع الذي لا يكبح جماح قيادته . ويلزمها طريق التعقل والروية والبعد عن الغضب والحق هو بهذا المفهوم مجتمع جاهلي . وكيف لا يكون المجتمع جاهلياً وقادته يقفون على ملأ من العالمين يفعلون ما كان يفعله الشعراء الهجاءون ، متطاولين على الناس يشتمون هذا ، ويسبون ذاك ، ويفرقون الصف ، ويمزقون الجمع ؟ إن المجتمعات التي يسيطر الغضب والحق والعصبية على تصرفات بنيها هي مجتمعات جاهلية بالمفهوم القرآني ، الذي يشرح هذا المعنى يوم وقف الغضب والحق والعصبية والحمية الجاهلية حائلا بين النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته وبين تعظيم البيت الحرام والاعتمار به في السنة السادسة من الهجرة ، وتشهد « الحديبية » ذلك الصراع بين مجتمعين متناقضين : مجتمع مسلم تسيطر عليه السكينة والروية والتعقل . ومجتمع جاهلي تسيطر عليه العصبية والغضب والاندفاع ، إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وكان الله بكل شيء عليماً(١) » .

وإلى العدد القادم إن شاء الله ؟

(١) الفتح ٢٦

موقف
مؤتمر القمة الاسلامي بلاهور
من قمة الاهداف الإسلامية

— ٢ —

بقلم الأستاذ
حسن محمد الجنيدى
المستشار بوزارة الخارجية

من المؤلم أن يتجه المسلمون فى نهضتهم الحديثة نحو عدوهم فيأخذون تشريعاتهم الباطلة نموذجاً ونبراساً فيحلون ما أحلوه ويحرمون ما حرموه . وقد آن الأوان للعودة إلى شريعة الحق بعد التيه فى دياجير الضلالة قروناً طوالا حتى بلغ الحال بأمة الإسلام (عدا دولتين إسلاميتين) أن تبيح الخمر وان تا .

والمجتمعات الإسلامية قد سقطت قلاعها ودكت حصونها بعد أن نبذت الطهر فى عقيدتها وفى تعاملها وفى شئونها كلها ، والذى نصبو إليه ونعلق عليه الآمال من الملوك والرؤساء فى عالمنا الإسلامى أن يقرروا ما أقره السلف الصالح فان آخر هذه الأمة لا يصلح إلا بما صلح به أولها .

نريد منهم أن يتراصوا بالحق بأن يضيفوا إلى قرارات النضال والتحرير القرارات الثلاث التاليه لتكون بمثابة البذور الطيبة التى تنبت الأمة الإسلامية التى تصلح للشهادة على الناس ،

الأول : تطهير عقيدة المسلم من الغزوات الدخيلة سواء من الفكر المادى الإلحادى أو من شرك الوثنية بتعظيم قبور الأولياء والأنبياء واتخاذ الوسطاء والشفعاء فنهلك بما هلك به من سبقنا من الأمم التى اتخذت رهبانها وأحبارها أرباباً من دون الله يحلون لهم فيحرمون والتى صرفت دعاءها واستغاثتها إلى الأنبياء والقديسين والأولياء من دون الله رب العالمين .

الثانى : تحريم الخمر والميسر فى كافة أنحاء العالم الإسلامى فكلاهما من عمل الشيطان وسبب الفرقة والانقسام وانتشار العداوة والبغضاء « إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ، فهل أنتم منتهون » [المائدة : ٩١]

الثالث : تحريم الزنا بعد أن أصبح فى كثير من الدول الإسلامية - نقلا عن أوربا - مباحاً إلا فى حالات ثلاث :

(ا) التغرير بالفتيات دون السادسة عشرة .

(ب) الاغتصاب (هتك العرض بالقوة) .

(ء) الخيانة الزوجية وهو حق للزوج فحسب ، ويجوز له أن يتنازل عن حقه فى أى مرحلة من مراحل التحقيق أو المحاكمة أوحتى بعد صدور الحكم أن يخرج زوجته الزانية من السجن إذا صفح عنها .

وهذه الإباحية إنما أتت بها الثورة الفرنسية فى نهاية القرن الثامن عشر الميلادى بعد أن كانت جميع العلاقات الجنسية محرمة فى أوربا إلا علاقة الزواج الطاهرة النقية . وكيف يحل لنا أن نرفع بنود الإسلام وشعاراته ، ونحن نبيح ونحل هذه الموبقات المهلكات . وهل نسى جواب النبى الكريم على سؤال الصحابى « أنهلك وفينا الصالحون » قال : نعم . إذا كثر الخبث .

« وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حساباً شديداً وعذبناها عذاباً نكراً . فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرا » [الطلاق : ٨ ، ٩]

° ° °

ختاما ، جميل بملوكنا ورؤسائنا أن يسعوا إلى تحرير الأرض المغتصبة ، وإلى استرداد مقدساتنا ، وإلى تطهير الأموال من الربا بايداعها مصارف إسلامية تبنى على أساس المشاركة فى الأرباح ، من أجل ذلك ندعو الله أن يوفقهم للعمل على تطهير النفوس والعقول من رجس الإلحاد ودنس الأوثان وإدمان الخمر وارتكاب الفحشاء ، فاذا تم لنا ذلك نستطيع عندئذ الذهاب إلى أفريقيا لكى نقيم جامعات إسلامية ، واحدة فى مشرقها وأخرى فى مغربها كما ورد فى تقرير الأمين العام ولا يقال لنا فى هذه الحالة عندما نبين أوامر الله ونواهيه :

يأيها الرجل المعلم غيره هلا لنفسك كان ذا التعليم
لاتنه عن خلق وتأتى مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

وبغير الطهر لن تكون أمة الإسلام أمة واحدة ، بل من الممكن أن تكون جزء متميعاً فى المجتمعات الأخرى شرقية كانت أو غربية ، وبغيره لا نصلح للشهادة على الناس سواء فى الدنيا أو فى الآخرة لأننا بذلك نتخلى عن الصفات التى اختارها الله لنتحلى بها ، ونشهد بها على الناس .

« وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس »

أى أن المولى تبارك وتعالى اختار أمتنا الإسلامية لهدف عظيم وهو أن تصبح أمة إسلامية نموذجية تصلح للشهادة على الناس بأعمالها لا بأقوالها يوم الحساب .

ونسأل الله تعالى أن يوفق قمة حكام المسلمين للوصول بأمة الإسلام إلى قمة أهدافها وأن يصلح الله حال أمتنا على أيديهم . فالحفاظ على الإسلام حفاظ على الأمة وفى ضياعه هلاكها ، فالإسلام هو روح أمتنا وقلبها الذى ينبض وعقلها الذى يفكر وصراطها الذى لا تحيد عنه وقوام حياتها كلها ، ونحن جميعاً بدونه نفقد الروح والقلب والعقل والصراط المستقيم ، ونتبع السبل التى تبعدنا عن سبيله فنفقد كياننا وقوامنا ونضيع بين سائر الأمم . والمولى تبارك وتعالى الذى جمع ملوكنا ورؤساءنا قادر على أن يوفقهم لما فيه خير هذه الأمة ورشادها وصلاح أمرها بما صلح به أولها ، وهو المستعان وإليه ترجع الأمور .

برقية تأييد للسيد الرئيس

السيد الرئيس المسلم محمد أنور السادات

تعلن جماعة أنصار السنة المحمدية تأييدها التام لكم فى خطتكم الإصلاحية على طريق الإسلام ، وتستنكر بشدة استغلال الدين فى العمل التخريبى الذى يبرأ منه الإسلام ، ويأباه الضمير المسلم . سدد الله خطاك وأيدك بروح منه . ونرجو أن تسمى ورقة العمل بورقة رمضان المبارك .

الرئيس العام

محمد عبد المجيد الشافعى

١٩٧٤/٤/٢٤

رئيس أنصار السنة بكسلا

ينزل الشيخ محمد الحسن عبد القادر

رئيس أنصار السنة بكسلا

بالسودان ضيفا كريما على المركز العام

خواطر حرة :

٨ شارع قوله !

سعدت بلقاء فضيلة الأستاذ رشاد الشافعى منذ بضعة أيام ، فى مكتب صديق مشترك . ودار الحديث حول بعض الأمور ، ثم تطرق إلى دعوة أنصار السنة ومبادئها . قلت لفضيلته :

« إننى لم أنضم إلى الجماعة بعد ، ولكننى مقتنع تماماً بأن التوحيد الخالص ، وتنزيه الله سبحانه وتعالى ، ومحاربة الشرك الظاهر والخفى أول ما يجب أن يتوخاه المسلم الرشيد فى ذات نفسه ، وفى خاصة أهله ، ثم فى المجتمع بكافة طبقاته » ، وأضفت قائلا : « إننى نشرت مقالة أو مقالتين فى الدعوة إلى التوحيد ، منذ خمسة أعوام ، ويسعدنى أن أعرضهما على فضيلتكم » .

قال الأستاذ الشافعى : « فلنلتق إذن فى صلاة المغرب ، مساء اليوم » .

وسألته : أين ؟

فقال : « بدار المركز العام للجماعة : ٨ شارع قوله » .

وتوجهت نحو الدار فى الموعد المحدد . ثم أذن المؤذن لصلاة المغرب ، فكان أول مظهر أعجبنى أن وجدت كل من فى الدار ، كبيرا وصغيرا ، يتجه إلى المصلى ، ويؤدى الصلاة فى خشوع واطمئنان .

كنت فى أول الأمر مضطربا إلى حد ما ، لتواجدى فى مكان أطرقه لأول مرة ، ولا أعرف فيه أحداً . فكان المظهر الثانى الذى راقنى أننى كنت أستقبل بابتسامة حانية ، من السادة الذين التقيت بهم ، على غير معرفة سابقة بيننا ، مما ساعد على تخفيف الاضطراب الذى داخلنى فى أول الأمر .

ووجدت أن الصوت الهادئ الخافت سمة غالبة بين الكثيرين . فاذا نسيها بعض الأعضاء

وعلت أصواتهم قليلا أو كثيرا ، سرعان ما يرتفع صوت يذكرهم بالهدوء الواجب فيستجيب الجميع على الفور .

ثم كان المظهر الثالث الذى أعجبنى ، وهو عدم التفرقة بين الأعضاء بعضهم وبعض . التقيت بالأستاذ رشاد الشافعى وتحدثت معه ، واشترك فى الحديث من تصادف تواجدهم بمكتبه فى هذه الآونة من الأنصار ، فلم ألمح فى حديثه ، ولا فى مظهره ، ولا فى مكتبه ، ولا فى الطريقة التى يعامل بها الأنصار ، ويعاملونه بها مايشى بأنه « الرئيس العام للجماعة » ولولا أننى تسلمت منه خطابا رسميا يستوجب تحديد صفة الموقع عليه ماعرفت هذه الحقيقة .

تذكرت أن النبى عليه الصلاة والسلام كان يجلس حيث ينتهى به المجلس ، وكان الوافد الغريب لا يستطيع أن يميزه وهو جالس بين أصحابه ، فيضطر إلى السؤال عنه ويقول : « أيكم محمد ؟ » ، وكان عليه الصلاة والسلام يقول لأصحابه : « لا تقوموا لى كما تقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضا . إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد ، وأجلس كما يجلس العبد ! »

تذكرت هذه المعانى ، وسرنى أن الأنصار يأخذون أنفسهم بها ، فى مجتمعهم الخاص .

وبعد أن انتهت المقابلة سلمت مودعا فطلب منى الأستاذ الشافعى أن أتردد على الجماعة من حين إلى آخر ، لتوطيد المودة . كان فى وسعه أن يسترسل فى بيان مبادىء الجماعة وأهدافها .. ولكنه لم يفعل ! . وكان فى وسعه أن يقدم إلى عدداً من مطبوعات الجماعة ومجلاتها .. ولكنه لم يفعل . وكان فى وسعه أن يطلب منى الانضمام إلى الجماعة والاشتراك فى مجلتها .. ولكنه لم يفعل . كل مافعله هو دعوتى للتردد على دار الجماعة من حين إلى آخر وترك لعامل الزمن أن يؤدى دوره ، حتى تنمو الأخوة بيننا نمواً طبيعياً ، ولا نتعجل الثمرة قبل أوانها . لقد كانت خطة حكيمة استنتجت منها أن الأنصار يتبعون الأسلوب العلمى فى دعوتهم ، وأن تحمسهم لفكرتهم لا ينسيهم الرفق والأناة والحكمة .

ثم انصرفت من الدار ، وجعلت أحدث نفسى :

لقد عاشرت كثيراً من الناس ، من مختلف الطبقات ، ووجدت أن الفساد قد دب إلى عقائد عدد كبير منهم . حتى من يسمون أنفسهم متدينين . وحتى من يسمون أنفسهم متعلمين ، وحتى من يتوهمون أنهم من الخاصة .. لا تسلم معتقداتهم من زيغ وانحراف !.

ولن أنسى ماحييت مشهداً صدمنى فى موسم الحج الأخير . كان بطله مصريا فى نحو

الخامسة والأربعين ، يحمل مؤهلا جامعيا ، ويشغل وظيفة مدير عام فى إحدى الوزارات ضمنى به مجلس فى المدينة المنورة فسمعته يزعم أن هناك محكمة عليا رئيستها السيدة نفيسة ، وأعضاؤها أربعة ممن يسميهم بعض المضللين « أقطابا » ، وأن هذه المحكمة المزعومة مختصة بالنظر فى جميع الأحداث الكبرى التى يتعرض لها الناس .

صحت به قائلا : « رفقا بنا يارجل ! إن إيماننا بالله الواحد الصمد يرفض هذه الفكرة المؤسفة ، لأنها شرك . كما أن التفكير المجرد السليم يرفضها أيضاً لأنها هراء وخرافة ! .

احترم يارجل جلال المناسبة واحترم طهارة المكان الذى نجتمع فيه وقداسته ، واحترم إيماننا وعقولنا ، وكف عن هذا التضليل والتحريف » .

ولكن الطامة الكبرى أن هذا الرجل وأمثاله فى مجتمعنا كثيرون . وإذا كان هذا حال بعض المتعلمين ، فكيف بعامة الناس ؟

يا أنصار السنة ! نحن فى مجتمع لاتختلف جاهليته عن الجاهلية الأولى ، بل لعلها أشد وأنكى . إن جاهلية القرن العشرين قد سخرت لخدمتها مستحدثات العلم ، ونظريات الفلسفة ، وسلطان المال . هناك فريق يستفيد ويتنفع ويستكثر من الأموال والعروض عن طريق الترويج للبدع والضلالات . ثم هناك القطيع الضال الذى لايميز بين الحق والباطل ، ولا بين السمين والغث .

فماذا أنتم صانعون لهؤلاء وأولئك ؟

دارت بخلدى هذه الخواطر ، فاستشعرت ضخامة المسئولية ، وثقل التبعة ، ومشقة الطريق ، ثم هتفت من أعماقى قائلا : « الله المستعان ! » .

محمد رمضان على

أرسل إلينا الأستاذ محمد إبراهيم بخات من الرباط بالمغرب نص مقالة له نشرت هناك بعنوان « من أصنام العصر »

وهو فى هذه المقالة يستنكر مايحدث فى وطنه من أمور تصل إلى حد اللهو واللعب والبعد عن عبادة الله جل شأنه - واتخاذ أمور واهتمامات خاصة تلهى الناس وتبعدهم عن أمور دينهم ، وعبادة ربهم . ويشبه هذه الأمور « بالأصنام » ويقول :

« إن هذه الأصنام العصرية مع الأسف رياضية - ظهرت فى عالم الرياضة ، وفى ميدانها بحجة الجمال الجسمى والكمال البدنى . إلا أن الرياضيين انحرفوا ، ومحبيهم انحرفوا ، وصار حبهم لهذه الرياضة أو تلك تصل إلى حد العبادة .

ويقدم لنا مثلا فى كرة القدم التى انحرف الناس من عشاقها عن أهدافها وانشغلوا بها إلى أبعد الحدود - حتى لقد ضاعت حقوق وأزهقت أرواح .

ويتساءل : فأين الروح الرياضية والتغنى بها وأين سمو المقاصد منها ؟

جنود الحق -٢-

للأستاذ سعد ندا

المدرس بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

وشأن الذل للموتى حقار ... يجر الذل للأحيا يقينا
وشأن الذل للأوثان عار ... يؤكد لوثة ويرى جنونا
وإن تمن الوجوه لغير (فرد) ... تقلب فى سعير المجرمينا
ولو عقلوا لعادوا من قريب ... لحكم الله خير الحاكمينا
كتاب خالد وحديث هاد ... هما نهج لكل الآخذينا
فليس سواهما نبع وورد ... هنيء سائغ للشاربينا
جنود الحق والتوحيد جدوا ... وعندوا دعوة المتمردينا
ودكوا الشرك دكات شدادا ... تدمره فتسمعه أنينا
ويندرس التصوف فهو ظلم ... ويمحى كل شرك المشركينا
ولا يبقى سوى التوحيد أصل ... لكل الناس منطلقا ودينا

* * *

جنود الله لاتنسوا جهادا ... بدأتاه وعشناه سنينا
فلا الأصنام تبقوها قياما ... ولا قوما عليها عاكفينا
ولا نسكا ولا نذرا إليها ... يقرب من ألوف الناسكينا
بكل تذلل ومسيل دمع ... وخوف قلوبهم متضرعينا

* * *

أسود الحق والتوحيد هبوا ... ولا تخشوا مسيئا أو مهينا
فقائدكم محمد فاتبعوه ... لإنقاذ الحيارى الغارقينا
ولا تيئسكم العقبات مهما ... تصلب صخرها وبدا متينا
فكل مجاهد يلقى عدوا ... وكل مبلغ يلقى لينا
ولا يرهبكم فى الله لوم ... فجند الله لا تخشى المنونا
ومادامت حياتكم ستفنى ... فيها أقدموا مستبسلينا
فإن الإحجام تألفه أسود ... موحدة ولا ترضى الهوانا
فاحدى الحسنيين لكم جزاء ... فشدوا للعزائم جاهدينا
وما الإسلام إلا نهج حق ... طريق واحد للمؤمنينا

كلمة حق
يراد بها باطل

تلك هى قول من ينكر السنة : « القرآن تبيان لكل شيء مافرط الله فيه من شيء » فحقا قال تعالى . « مافرطنا فى الكتاب من شيء » ، وقال : « ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء » . ومن الأشياء التى أنزل الله الكتاب تبياناً لها وجوب الأخذ بالسنة كمصدر للتشريع .

يريد منكرو السنة أن كتاب الله يشرع كل شيء ومباشرة لا باحالة إلى شيء . حتى ولو كان السنة ، فهل كلمهم الله مباشرة ؟ أم كلمهم بارسال رسول الله ﷺ إليهم ليبلغهم عن الله ؟ فكما بلغهم عن الله كتابه بلغهم سنته !

إن القرآن شرع وجوب الأخذ بالسنة كمصدر للتشريع ، فان لم يكن ماشرعته السنة مما شرعه القرآن مباشرة فوجوب الأخذ بالسنة كمصدر للتشريع هو مما شرعه القرآن مباشرة .

هل ثم عيب أن يقول الله فى كتابه : « أنزلنا إليك الذكر لتبين للناس مانزل إليهم » ، ويقول : « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » . وكيف تعدون كلام الله عيباً وتزعمون أنكم تؤمنون أن القرآن تبيان لكل شيء وأن الله مافرط فيه من شيء ؟؟ كيف تكفرون . بقوله تعالى : « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » ، وبقوله تعالى : « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس مانزل إليهم » وتزعمون أنكم تؤمنون بقوله تعالى : « مافرطنا فى الكتاب من شيء » وقوله تعالى : « ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء » .

إنكم فى الواقع إذ تنكرون السنة تنكرون كتاب الله لامحالة . وإنكار السنة دعوة خبيثة لم يجد أصحابها طلاء يطلونها به إلا دعواهم أنهم يؤمنون بأن الله مافرط فى الكتاب من شيء وأن الكتاب تبيان لكل شيء فزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل ، زين لهم إنكارهم السنة بدعوى إيمانهم أن الكتاب تبيان لكل شيء ، وأن الله مافرط فيه من شيء . فالآيتان الكريمتان « ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء » . و « مافرطنا

فى الكتاب من شيء » لا تكران السنة ، بل هما أساس للأخذ بالسنة .

فالاكتفاء بالقرآن هو نبذ آراء الناس الخارجة عن القرآن لا نبذ السنة فانها ليست شيئاً خارجا عن القرآن ، بل هى تفصيل لما أجمل القرآن وهى مما أمر به القرآن فهل الاكتفاء بالقرآن نبذ ما أمر به القرآن ؟؟ إن معنى هذا : الاكتفاء بالقرآن قراءة دون العمل به ، لأن اتخاذ السنة تشريعا عمل بالقرآن ، والذى يقرأ القرآن ولا يعمل به مثله كمثل الحمار يحمل أسفارا .

والطعن فى الذين نقلوا السنة الشريفة تشكيك فيما يراد به العزوف عنها وتركها ، وبذا لا يمكن تنفيذ ما ورد فى القرآن من أوامر ونواه .

وأسأل هؤلاء المنكرين للسنة : هل هم يصلون ؟! وما كيفية صلاتهم إن كانوا يصلون ؟ أهم يؤمنون أن الله فرض خمس صلوات فى اليوم والليلة ، وأن الصبح ركعتان وكلا من الظهر والعصر والعشاء أربع ركعات والمغرب ثلاث ركعات ؟؟ من أين علموا هذا - إن كانوا يصلون - إلا من السنة ؟!! وإن كانوا لا يؤمنون بهذا أو لا يصلون فما أبعدهم عن الإسلام !!

إنه يلزمهم - إذ ينكرون السنة - ألا يؤمنوا أن الصلوات خمس . . . ويلزمهم إذا آمنوا أن الصلوات خمس أن يؤمنوا بالسنة . .

ولست فى احتياج أن أضرب أمثالا كنظام الأساتذة والمعيدين فى الجامعات . ونظام الدستور والقانون ، فالدستور إجمال للقانون ، والقانون تفصيل للدستور . . لست فى احتياج أن أضرب هذه الأمثال - ولله المثل الأعلى - إلا لأبين عدم استساغة أى نظام حتى النظم الأرضية لمنطق منكرى السنة ، ومع ذلك فهم لا يقفون هذا الموقف إلا من الدين .

وكما يحيل القرآن على السنة يحيل على العلم بصفة الشيء ، وقد تكون المسميات كثيرة لما تنطبق عليه الصفة المحيل القرآن على العلم بها فاسم « التبغ » ليس فى القرآن ولكن صفته فى القرآن وهى صفة تجمعه وتجمع غيره مما ضرره غالب على منفعته كالحشيش والأفيون والسم فالسم قاتل للجراثيم الضارة داخل جسم الإنسان ، ولكنه قاتل للانسان نفسه ، فضرره غالب على نفعه فهو خبيث ومحرم حرم بقوله تعالى : « ويحرم عليهم الخبائث »

ولا ضرورة لأن يذكر اسم السم ولكن يكفى ذكر الصفة الشاملة له ولغيره مما غلب ضرره على منفعته وهى صفة « الخبائث »

فاذا سأل سائل فقال : إن التبغ ليس حراما لأنه لم يذكر فى القرآن فقل له أخبيث هو أم طيب ؟ .

فان كانت فطرته لازالت سليمة فسيقول : خبيث . فقل له : قال تعالى : « ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث » .

وإن كابر فهو من نوع منكرى السنة الذين ينكرون أيضاً ما ورد فيها من تحريم كل مسكر ومفتر ، ويعد هذا التحريم وارداً فى القرآن أيضاً بطريق غير مباشر هو طريق إحالة القرآن على السنة فى أكثر من آية من آياته . وما بقى إلا أن ينكروا حرمة شرب الخمر ، ويزعموا أن الله حرم الألف واللام والخاء والميم والراء !! أى حرم لفظ الخمر.

كفى خبطا أيها المتخبطون .

عبد المنعم محمد حلمى عبد الرحمن
الإجازة العالية فى الدراسات الإسلامية والعربية من الأزهر
والسنة النهائية بدبلوم عام التربية بالأزهر

فرع مصر الجديدة

اجتمعت الجمعية العمومية لفرع مصر الجديدة فى الشهر الماضى وتم عرض ميزانية الفرع وتقرير بأعمال الفرع خلال السنة الماضية ، وتم انتخاب مجلس الإدارة على الوجه الآتى :

١ - الأخ على حفنى إبراهيم رئيسا
٢ - الأخ عبد الحافظ فرغلى نائبا للرئيس
٣ - الأخ عبد الرشيد محمد سكرتيرا
٤ - الأخ سعد شعبان الباجورى أمينا للصندوق
٥ - الأخ بكرى حسن على الولى عضوا
٦ - الأخ فؤاد على مصلوبى عضوا
٧ - الأخ سيد عبد الجواد الشيخ عضوا

وقد وافق أعضاء الجمعية العمومية على اختيار الأخ سليمان توفيق الشوربجى مراقب عاما للحسابات.

أساس البناء الإسلامي

بقلم أحمد عبد الرحيم السايح

من المؤكد أن العقيدة الإسلامية قد فضلت سواها .. فضلتها بأشياء كثيرة مكنتها فى الماضى ، وتستطيع أن تمكنها فى الحاضر من علاج مشكلات الناس ، وتستطيع أن تمكنها فى المستقبل ، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وهذه العقيدة تقوم على التصديق بكل ماجاء به النبى عليه الصلاة والسلام ، والاعتقاد إعتقاداً جازما ، كالإيمان بالله تعالى ، وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، والقضاء والقدر ، والتصديق بالأوامر والنواهى .

وهذه العقيدة هى واحدة لدى المسلمين تجتمع عليها القلوب المؤمنة ، وتلتف حولها النفوس الطاهرة .

وهذه العقيدة لاتختلف باختلاف جنس من الأجناس ، أو مصر من الأمصار ، أو جيل من الأجيال .. هى واحدة فى كل زمان ، وفى كل مكان .

وهذه العقيدة تأبى على المسلم أن يتعلق بالأضرحة ، وقبور الأولياء ، والصالحين ، كما أنها لاتقبل الدروشة والتمسح .

إنها عقيدة صافية تطهر المسلم من أدران الوثنية والجاهلية ، وتصل به إلى خير ماقدر .

قال الله تعالى : « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من من بالله واليوم الآخر ، والملائكة والكتاب والنبيين ، وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب ، وأقام الصلاة وآتى الزكاة ، والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون »[1].

والآية كما ترى مشتملة على خمسة عشر خصلة . . وترجع إلى ثلاثة أقسام: فالخمسة الأولى منها تتعلق بالكمالات الإنسانية ، التى هى من قبيل صحة الاعتقاد ، وآخرها قوله « والنبيين » وافتتحها بالإيمان بالله واليوم الآخر، لأنها إشارة إلى المبدأ والمعاد .

والستة التى بعدها تتعلق بالكمالات النفسية . . التى هى من قبيل حسن معاشرة العباد . وأولها « وآتى المال » وآخرها « وفى الرقاب ».

والأربعة الأخيرة تتعلق بالكمالات الإنسانية . التى هى من قبيل تهذيب النفس وأولها « وأقام الصلاة » وآخرها « وحين البأس[٢] ».

وقال تعالى « يأيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله والكتاب الذى أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا »[٣].

أمر من الله سبحانه وتعالى موجه إلى عباده المؤمنين بالدخول فى جميع شرائع الإيمان وشعبه وأركانه ودعائمه .. وليس هذا من باب تحصيل الحاصل ، بل من باب تكميل الكامل وتقريره ، وتثبيته والاستمرار عليه ، كما يقول المؤمن فى كل صلاة اهدنا الصراط المستقيم . أى بصرنا فيه ، وزدنا هدى ، وثبتنا عليه[٤] .

ويقول رسول الله عليه الصلاة والسلام « ذاق طعم الإيمان من رضى بالله ربا ، وبالإسلام دينا ، وبمحمد رسولا[٥] » .

وروى الطبرانى عن على رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «الإيمان بالله معرفة بالقلب ، وقول باللسان، وعمل بالأركان[٦]» ، إلى غير ذلك من الأحاديث الواردة فى العقيدة التى جاء بها الإسلام ، وهى فى حقيقتها مبينة لما اشتمل عليه القرآن الكريم ، وموضحة له .. وهذه العقيدة جمعت المسلمين على اختلاف ألوانهم وأجناسهم وأقطارهم ، وقد جددت ما مضى من قرابة ، وأكدت الأبوة المنتهية إلى آدم عليه السلام . وإذا كانت أبوة آدم تجمع المسلمين وتوحدينهم فى الأصل، فإن العقيدة الإسلامية هى أبوة كاملة متكاملة ، ترجع إليها فروع المسلمين ، وتلتقى عندها قلوب المؤمنين ؛ ولهذا يمكن أن نقول فى اطمئنان : إن وحدة المسلمين فى جماعة إسلامية ليست حالا ، أو حلما فى القصور .

أوخاطرة من الخواطر، وإنما هي حقيقة يمكن تحقيقها إذا صح عزم المسلمين وصدقت القلوب.

وانطلاقا من مفاهيم العقيدة الإسلامية، جعل الإسلام العصبيات بأنواعها فسوقا، وانحرافا عن طريق الحق.

« وإن رابطة العقيدة في الإسلام هي رابطة في المبادئ والمثل العليا والأخوة، على صعيد هذه المثل العليا في الحق والخير وتلك التعاليم، هي أعلى وأقوى من رابطة الدم والنسب، والمساكنة في الوطن، والمشاركة في القومية.

وهذا الأساس هو المنطلق الوحيد للخروج من قوقعة الأنانيات الفردية والقبلية، والقومية، إلى صعيد اللقاء الإنساني على أساس المبادئ. مبادئ الحق والعدل والخير.

وفي هذا الإطار التربوي النفسي ذاته عالج الإسلام النفس الإنسانية إعداداً لها، لتحقيق التعارف والتعاون، فعالج آفاتها وأمراضها الحائلة دون التعاون، كالحسد والحقد، والغل، التي تثيرها دوافع النفعية للذات الفردية أو القبلية أو القومية، وتزيلها دوافع إرضاء الله والرغبة في حسن ثوابه.

وهذه المعالجة في الإسلام أساسية، ولا تجدي دونها صلاة ولا صوم ولا حج، وقد سماها ابن تيمية رحمه الله، فقه الباطن أو فقه الأعمال الباطنية [٧].

فعقيدة الاسلام، هي وحدها القادرة على أن تضع للناس النظام الدقيق للحياة. وهي وحدها القادرة على تنظيم علاقات الناس بعضهم ببعض، وعلاقات المسلمين بالوجود كله.. وبالكون.

« فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون »

وأمتنا الإسلامية في أشد الحاجة إلى العودة. العودة إلى الإسلام من جديد..في ظلال « لا إله إلا الله » والله الموفق.

المصادر حسب الأرقام :

١ ـ سورة البقرة آية ١٧٧ ٢ ـ تفسير الألوسي ج ١ ص ٣٤٩
٣ ـ سورة النساء آية ١٣٦ ٤ ـ ابن كثير ج ١ ص ٥٦٦
٥ ـ رواه مسلم والترمذي. التاج ج ٢ ص ١٨ ٦ ـ كنز العمال ج ١ ص ١٩
٧ ـ استراتيجية العالم الإسلامي. مكة المكرمة. وزارة الأوقاف